٥٥١
551
HARLEQUIN

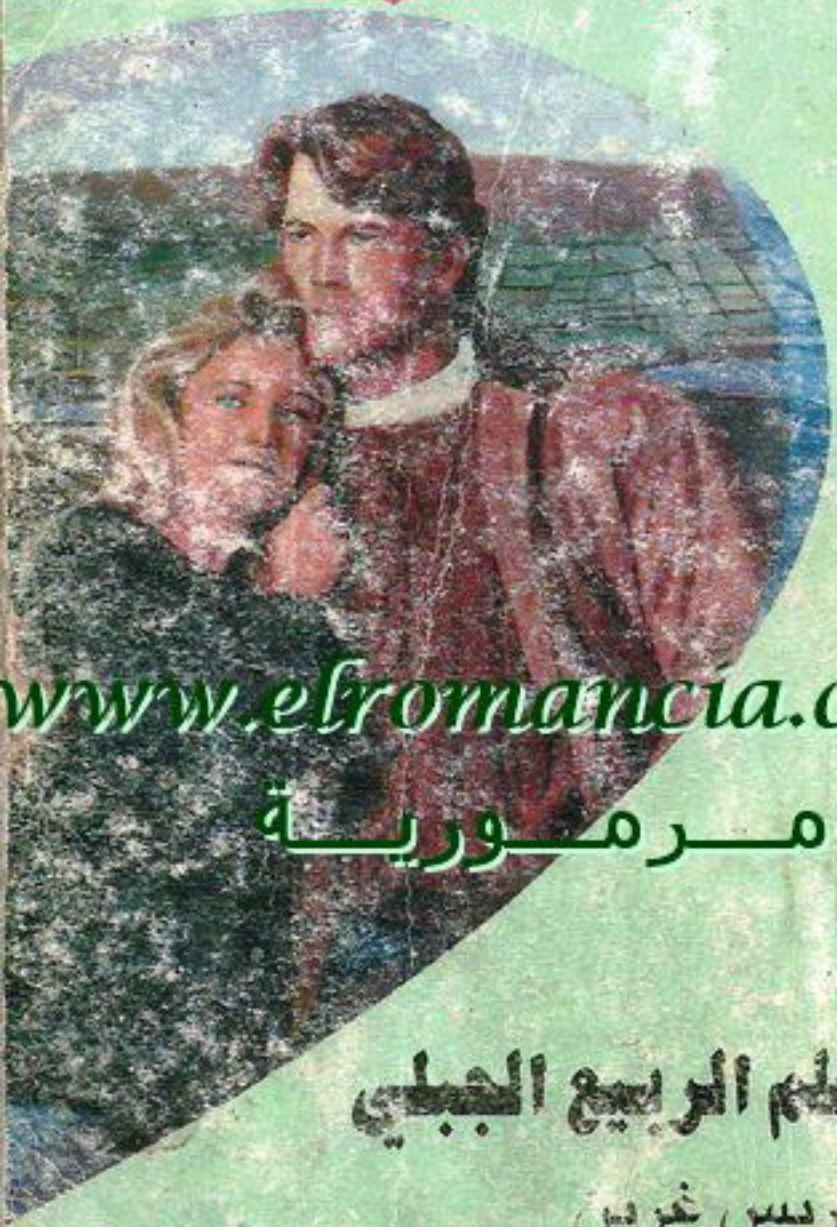

www.elromancia.com

مرمورية

حلم الربيع الجبلي

غريس غرين

حلم الربيع الجبلي

غريس غرين

التقى غيدوين لندسي في مطعم وهذا أمر قد يحدث لأي كان، لكن المشكلة أن لندسي كانت برفقة والد غيدوين، الكساندر، وكانا يتقابلا منذ ما يقارب السنتين. أرادت لندسي الوقوف عن ذلك لأجل إيرا، زوجة الكساندر وأصر غيدوين على ذلك وعرض على لندسي ما اعتقد أن والده يعرضه عليها. لم يعرف غيدوين سر العلاقة التي تربط بين والده وبين فتاة شابة. لا تستطيع لندسي قبول عرض غيدوين لأنها فتاة داماريس وعليها البقاء بريئة، نقية وناصعة السمعة.

لبنان: ٢٠٠٠ - سوريا: ٦٠ ل س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١,٥ دينار - المغرب: ١٠ درهم مغربي - سلطنة عمان ١ ريال - تونس: ٢ دينار

حلم الربيع الجبلي

إلتقى غيدوين لندسي في مطعم وهذا أمر قد يحدث لأي كان، لكن المشكلة ان لندسي كانت برفقة والد غيدوين، الكساندر وكانا يتقابلان منذ ما يقارب السنتين، ارادت لندسي التوقف عن ذلك لأجل لورا، زوجة الكساندر واصر غيدوين على ذلك، وعرض غيدوين على لندسي ما اعتقد أن والده يعرضه عليها. لم يعرف غيدوين سر العلاقة التي تربط بين والده وبين فتاة شابة. لا تستطيع لندسي قبول عرض غيدوين لأنها فتاة داماريس. وعليها البقاء بريئة، نقية وناصعة السمعة.

غرايس غرين

ولدت غرايس غرين في اسكتلندا وعملت في مجال التدريس. هاجرت عام ١٩٦٧ وزوجها المهندس البحري جون إلى كندا حيث نشأ اولادهم الاربعة. وبعد مغادرة الأولاد لمنزل ذويهم استقرت غرايس وزوجها بسعادة غربي فانكوفر في منزل يطل على المحيط. استمتعت غرايس بالتنزه على طول شاطىء البحر، بالاهتمام بحديقتها وبالتعرف على الكتاب الآخرين...

٥٥١

Khouloub Abir 551

حلم الربيع الجبلي

غرايس غرين

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

كان اللقاء الأول بين لندسي وغيدوين ستون بأحد الأيام التي لم تشك لندسي للحظة بامكانية رؤيتها له اطلاقاً، وفي البداية سيارته هي التي لفتت انتباهها وليس الرجل نفسه.

كانت سيارته من طراز جاغوار زرقاء اللون براقة تعبّر لناظرها بكلمة غني. انتبهت لندسي للسيارة بسبب جلوسها قرب النافذة في مطعم اليزابيت فيما كان سائق السيارة المقصودة يركنها قرب سيارتها. وتلاعبت الابتسامة على شفتيها لمجرد المقارنة بين سيارة الكاديلاك الرمادية القديمة خاصتها وبين الجاغوار الرائعة حديثة الطراز. كانت على وشك التعليق على هذا لالكساندر حين ترجل من سيارة الجاغوار، كانا رجل وامرأة رائعا المنظر لدرجة ان لندسي نسيت للحظة المرافق الذي يجلس امامها إلى طاولة الغداء.

في البداية لم تميّز لندسي الاثنين، فلم يخطر ببالها اطلاقاً مجيئها إلى هذا المطعم الصغير في ساسيكس وطبعاً لم يسبق لها رؤيتهما شخصياً بل شاهدتهما في الصور العائلية لالكساندر.

نظرت بفضول إلى المرأة الشقراء الانيقة التي ترتدي بذلة شانيل بلون الزهر، قبل ان تدع نظراتها تستقر على الرجل الطويل القامة الوسيم الذي كان يرافقها. كان اسمر اللون

وجذاب كالعارضين الذين تعمل لندسي معهم، لكنها أدركت ان هذا الرجل من النوع الذي لن يهدأ مطولاً امام أي عدسة تصوير. كان هناك عدم استقرار وقلة صبر في حركاته، في طريقة سيره وبالطريقة السريعة التي رفع بها يده ليدع اصابعه الطويلة تتغلغل في شعره الأسود الداكن وكأن طاقة ديناميكية هائلة تضطرم بداخله بانتظار فرصة ما للانطلاق. كان واضحاً من حركة جسده الرياضي القوي تحت بذلته الرمادية انه في افضل احواله الجسدية، هذا بالإضافة إلى رأسه الشامخ بكبرياء وحركة كتفيه الواثقة جعل لندسي تشعر بقشعريرة داخلية. قالت في نفسها، ان هذا الرجل لن يرغب المرء في الاحتكاك به. من الأفضل لك ان يكون صديقاً منه عدواً.

عندما اقترب، اتضحت اكثر ملامحه التي تنطق بالصرامة والتصميم، وكذلك عيناه اللتان تشعان بالذكاء المتوقد وشفتاه الجميلة التكوين الناطقة بالرجولة. لكن، حتى أثناء تحديقها به شعرت بدقات قلبها تتسارع دونما سبب، فهذا الرجل الغريب لم يكن متكامل البنية فقط بل كان من اكثر الرجال فتنة ووسامة.

«آه.»

لم تنتبه لنطقها هذه الكلمة بصوت مرتفع إلا حين سمعت الكساندر يقول بصوت قلق: «ما الأمر يا عزيزتي؟»

كانا يسيران بمحاذاة الرصيف المقابل الآن، اي على بعد ستة اقدام فقط عن النافذة، لكن لحسن الحظ احدهما لم ينظر للداخل، رغم ذلك انكمشت لندسي في مكانها مختبئة خلف الستائر التي تزين نوافذ المطعم. لا، لا يعقل ان يحدث هذا ... هذا غير ممكن...

«لندسي؟»

شعرت وكأنها ستنهار، ببطء سحبت نظراتها عن الخارج وركزتها على الرجل الجالس أمامها.

ادركت ان التعبير داخل عيناه سيتغير قريباً وسيعكس تعبير الذعر الساكن عينيها بهذه اللحظة. أهذه هي النهاية؟ تساءلت بيأس. نهاية كل تخطيطهم الدقيق، نهاية لقاءاتهم السرية، نهاية اوقاتهما الغالية معاً... ونهاية محاولاتهم الحثيثة لعدم جرح مشاعر أحد؟

همست بذعر هائل: «انها زوجتك وابنك، مرا من امام النافذة للتو.»

سمعت الكساندر يتفوه بكلمة مستحيل ورأت رأسه يستدير مباشرة للخارج للتأكد مما سمع... لكن كان الاثنان قد اصبحا خارج مجال الرؤية.

«من فكر للحظة انهما قد يأتيان إلى هنا؟» قالت لندسي ذلك وشعرها الأسود يسترسل حول وجهها وهي تنحني للأمام استعداداً لمغادرة الطاولة وتابعت بصوت هستيري: «علينا المغادرة. علينا...»

«اجلسي يا لندسي.» قال الكساندر ذلك بصوت صارم واضعاً ذراعيه على كتفها ومعيداً إياها إلى مكانها. كان صوته مضطرباً كصوتها لكن صوته لم يعكس الذعر بل القبول البليد وتابع: «فات الأوان.»

تنهدت لندسي بارتجاف وعادت إلى مكانها دون ان تدرك ما الذي تفعله. وجدت نفسها تعبث بفوطة الطعام بعصبية بالغة ووجدت يد الكساندر تغمر يديها المرتعشتين. نظرت إلى تلك اليد... يد هذا الرجل التي

اصبحت عزيزة جداً عليها اثناء السنتين التي عرفته بها. وفيما تمسكت بتلك اليد كطوق نجاة بيديها الاثنتين شعرت بالم فظيع يعتصر قلبها. هل ستخسره؟

قاومت البكاء ورفعت نظرها إليه... ورأت تعابيره الصارمة.

قال: «لعلهما لن يدخلا إلى هنا. قد يذهبان إلى البهو لاحتساء كوب عصير.»

همست لندسي: «أجل. لكن بحال دخولهما إلى هنا... ورؤيتهما لنا، ماذا سيحدث حينها؟»

اومأ الكساندر برأسه لكن قبل ان يتكلم اندفعت لندسي قائلة: «سأذهب للجلوس على طاولة أخرى. أجل هذا سيفي بالغرض.... حينها وان دخلا ستكون بمفردك ولن يعرفا...»

لكن صوتها اختنق حين رأت من فوق اكتاف الكساندر دخول رجل طويل القامة إلى المكان. لم تكن قاعة الطعام كبيرة لكنها بدت متقلصة الآن، فوجود الوافد الجديد كان يسيطر على كل شيء بداخلها.

«فات الأوان.» قالت لندسي ويداها تشدان على يد الكساندر: «لا تلتفت... ابنك، لقد...»

شعرت بقلبها يتوقف وهي تتابع: «آه، لقد رآك! انه قادم باتجاهنا.»

انتظر الكساندر ستون وصول ابنه إلى طاولتهم فنهض بهدوء لكن بصرامة وسحب يده من قبضة لندسي. كان عمره اربع وخمسين سنة، لكنه بدا في تلك اللحظة وكأنه في الستين. لكن بنهوضه للترحيب بابنه كانت قامته ثابتة

وواثقة بكبرياء جعل قلبها يئن بالحب الذي تشعر به نحوه.

ثم قال بصوت ثابت: «غيدوين... يا لها من مفاجأة.»

«الكساندر.»

لم تكن نظرات غيدوين على والده وهو يتكلم بل كانت على لندسي ولم يتفوه بكلمة أخرى.

كان الهدوء محملاً بالخطر ومتطلباً، فالمطلوب تعريف والده عن هذه الفتاة التي يجلس معها جلسة هادئة. الفتاة التي كانت تتمسك بيده بقوة قبل لحظات قليلة.

لاحظت لندسي وهي تعبث بساعتها بارتباك ان عينا غيدوين ليستا بنيتا اللون كعيني والده... لكن بالطبع لم يكن من داع لتكون كذلك. فهي تعرف ان غيدوين ليس ابن الكساندر ولورا بل انه ابنهما بالتكفل منذ كان عمره عشر سنوات، لا، لم تكن عينا غيدوين بنية بل زرقاء، زرقاء جليدية، زرقاء كالحديد، وكان صوته قاسياً كالحديد ذاته وهو يقول: «الن تقدمني يا والدي إلى...؟»

لم يكمل الجملة عمداً للتعبير عن شدة إحتقاره.

اخذ والده نفساً عميقاً ولاحظت لندسي شحوب وجهه الشديد بقلق.

«لندسي... اريدك ان تتعرفي على غيدوين ابني، هذه لندسي بالفور يا غيدوين.»

طأطأت رأسها ولم تقل سررت بالتعرف اليك لإدراكها مدى رياء كلماتها في حال نطقت بها.

قال غيدوين: «أهي... صديقة؟» واضعاً يديه في جيبي بنطاله بطريقة تحدي كما رأتها لندسي، وبوقوفه هكذا قربها ويديه في جيبي بنطاله غمرتها رائحة عطره،

ولرعبها الشديد ارتعشت رموشها وشعرت بالدم يندفع إلى وجنتيها.

«اجل.» تمكنت من الايجاب محاولة تثبيت صوتها لكن دون نجاح وتابعت: «أجل، صديقة.»

كان غيدوين يعرف دون شك ان والده لا يقابل الصديقات بمفرده في مطعم ريفي صغير معزول وبعيد، رأت نظرته الجليدية تتفرس في وجهها ورأت اللون الأزرق يتحول إلى لون داكن، لا بد انه لاحظ ردة فعلها اللاإرادية تجاه قربه منها ومن الإلتواء الخفيف الذي ظهر على فمه، ادركت ان ردة فعلها هذه كانت طبيعية بالنسبة له نظراً لنوعية الفتاة التي يعتقدها.

قال الكساندر: «كنت لأطلب منك الانضمام الينا لكن...»

قاطعه غيدوين بحدة: «أنا برفقة لورا فقد قرأت مقالة عن هذا المكان في مجلة مطاعم الريف وارتأت ان هذا المكان هو الأمثل للاحتفال بذكرى زواجكما القريب، كانت تخطط لمفاجأة في نهاية الاسبوع وقد اصطحبها المدير للطابق العلوي كي تلقي نظرة على الغرف المتوفرة.» نظر عمداً نحو لندسي بنظرات مهينة محتقرة وهو يلحظ جيدها الظاهر من فستانها الأخضر القطني متابعاً: «لكننا ضيعنا وقتنا هباء، فهذا المكان لا يليق بالأمهات. بعض الأشخاص هنا ليس من النوعية التي تختلط بها عادة.»

هتف الكساندر بتوسل: «غيدوين...»

«حسناً، يجب ان اغادر، سألتقي لورا قبل ان تصل بجولتها إلى هذه القاعة. فهناك كما اظن شيء... قذر... هنا.»

استقرت نظراته مجدداً على لندسي مجرداً إياها عقلياً من أي خصال حميدة. وارتعشت من حدة احتقار نظرته وكأنه يجردها من كل ما لديها من كرامة مبرزاً انحطاطها ورامياً بها على أقرب كومة قمامة. التوى فمه مجدداً بذاك التعبير الساخر قبل ان يبتعد عن طاولتهم ويخطو مبتعداً دون النظر إلى اليمين أو إلى اليسار.

تقلصت لندسي في كرسيها وهي تشعر وكأن غيدوين اهانها وانهال عليها بالضرب وليس لمجرد الكلمات والنظرات. سبق وتحدث الكساندر كثيراً عن ابنه بالطبع، كما سبق له التعليق بجفاف عن تأثير هذا الأخير على النساء، لكنها لم تعتقد للحظة ان تأثير شخصيته سيكون قاهراً لهذه الدرجة... أو ان تأثير إزدرائه سيكون محطماً هكذا.

وادركت ان شعور الكساندر حالياً لا يختلف كثيراً عن شعورها... وان صحته العليلة لن تحتمل هكذا مواجهات. ادركت بغموض انه كان يخاطبها الآن، لكنها جذبت انتباهها حركة في الفناء الخارجي فالتفتت بنظرها خارج النافذة.

رأت غيدوين يرافق والدته إلى سيارة الجاغوار مصطحباً إياها بعيداً عن الرصيف المحاذي للمطعم هذه المرة وكان من الواضح انه قد اقنعها بعدم ملائمة هذا المكان لما تنويه. رأت لندسي لورا تقبع في الكرسي الامامي للجاغوار وما هي الا لحظات حتى اخذ الآخر مكانه خلف عجلة القيادة وانطلقت السيارة بعيداً مخلفة ورائها عاصفة من الغبار وكأن السائق لم يطق صبراً على المغادرة.

عادت بنظرها إلى رفيقها قائلة بصوت تخنقه العبرات: «آه يا الكساندر...»

«لن يخبر لورا.» قال الكساندر ذلك بنبرة من تعرض لصدمة لكنه يحاول الظهور بمظهر الشخص العادي: «انا متأكد تماماً من ذلك، هو مستعد لتعريض حياته للموت لأجل حمايتها.»

«لكن العلاقة بينك وبين غيدوين... لن تبقى كسابق عهدها أبداً. الا يمكنك إخباره يا الكساندر؟ اخبره بالحقيقة.»

«ألم نقرر انه ان اطلعنا مطلق شخص على ذلك فهو لن يبق سراً؟» قال الكساندر ذلك وعيناه تعكسان القلق والتوتر وتابع: «ان اخبرناه فقد يزل لسانه بشيء ما... وقد تكتشف لورا ذلك. وأنا غير مستعد للمخاطرة بهذا الأمر.»

«لا سبيل آخر امامنا، اليس كذلك؟» قالت وهي تعاند الدموع التي تهدد بالإنهمار: «الشيء الوحيد امامنا الآن... الشيء المنطقي الوحيد... هو امتناعنا عن التقابل ورؤية بعضنا...»

«لا، لن اتخلى عنك.»

«لكن الشعور بالذنب يتآكلني وكأن مجرد وجودي يعرض للخطر كل حياتك و...»

«لندسي عزيزتي، ان كان من شخص لا يجدر به الشعور بالذنب في هذه الفوضى فهو انت، انت وغيدوين. اسمعي...»

بتنهيدة متعبة نظر إلى ساعته قبل استدعاء النادل وطلب الفاتورة منه ثم تابع: «علينا العودة للبلدة وإلا تأخرت على اجتماع الإدارة.»

رفعت لندسي حقيبتها عن الأرض وتمتمت: «اعرف انك ستكون منشغلاً طيلة بقية الأسبوع وهذه هي حالي بدوري، فأنا سأسافر إلى اليونان غداً بداعي التصوير. لكنك ستأتي مساء الجمعة كالعادة؟»

«بالطبع، قلت لك اننا لن نتوقف عن اللقاء.»

«سنتكلم عن ذلك يوم الجمعة.» ردت لندسي بهدوء وهما يغادران.

كما خططا، تناولا العشاء معاً في المنزل الصغير المنزوي عن الانظار والذي اشتراه الكساندر خصيصاً ليكون مكان اجتماعهما بعيداً عن عيون الفضوليين والذي يبعد حوالي عشرة اميال عن منزل سكن الكساندر الأصلي، كان التوتر يخيم على الأجواء بينهما هذه المرة بعكس المرات السابقة نظراً لادراك كل منهما لأهمية الحديث اللاحق بينهما والذي كان كل طرف يؤجله إلى ما بعد.

لكن بالطبع لم يكن بالامكان تأجيله إلى ما لا نهاية. وفي الساعة الحادية عشرة مساء وبعد احتسائهما القهوة الساخنة كعادتهما وقبل مغادرة الكساندر لمنزله قال بصوت منخفض لكن مصمم: «أريد ان نتابع كما كنا سابقاً يا لندسي، غيدوين لن يشي بنا وان ضاعفنا جهودنا لتكن لقاءاتنا اكثر سرية فلن...»

«لا.» قاطعته لندسي وقد هرب اللون من وجهها الفتي: «لا، لا يمكننا الاستمرار على هذا النحو. فكرت مطولاً بهذا، لم افكر بشيء آخر طيلة الاسبوع، وقد اتخذت قراري. عليك بيع الفيللا. وانا سأتابع طبعا استئجاري للشقة في البلدة لكن حين لا يكون لدي عمل فسأسافر إلى اسكتلندا وأبقى

في البيت الذي تركته لي والدتي عوضاً عن المجيء إلى هنا. الانفصال الهادىء هو افضل الحلول.» نظرت اليه والحزن العميق يطل من عينيها، ثم تابعت: «هذا هو السبيل الوحيد يا الكسندر.»

انتابها القلق الشديد لرؤية التحول في ملامحه. نهض ببطء عن كرسيه ومد يده اليها.

قال برقة: «تعالي إلى هنا.»

نهضت واقتربت منه فأمسك بيديها وقال: «لا ادري ان كنت سأقدر على تحمل ذلك، لكن ان اصريت... فما علي سوى الإذعان لذلك.»

همست: «أجل علينا الإذعان لذلك. لأجل لورا.» عانقها بحنان طابعاً قبلة على جبينها، ثم ابعدها قليلاً عنه ونظر عميقاً داخل عينيها.

«سأكون بالغ القلق عليك...»

«قاطعته فوراً: «لا داعي لتقلق بشأني حين ينتهي عقدي الحالي بنهاية كانون الأول (ديسمبر)، فأنا متأكدة ان داماريس سيجدده لي.»

«لكنك لست واثقة من ذلك.»

«ان لم يفعل فسأكتفي عن طيب خاطر بالأمر الذي احصل عليه من السكرتاريا والطباعة.»

«ليتك تسمحين لي بمساعدتك مادياً يا لندسي.» لكنها كانت عنيدة بهذا الأمر كشأنها دوماً. تم افتراقهما بهدوء كما ارادت لكنها كانت واثقة ان قلبه كان محطماً تماماً كقلبها.

بعد رحيله دخلت إلى غرفة نومها وهي تتحرك ببطء ثم

بدلت ثيابها. كان الوقت متأخراً لكنها لن تخلد للفراش الآن فقد ادركت ان النوم سيجافيها، ففكرت بشرب كوب شاي، لربما قد يساعدها على تهدئة اعصابها وعلى الاسترخاء ومن ثم النوم. وضعت عليها رداءها الأسود المصنوع من الساتان والذي كان هدية من وكالة داماريس، نظرت إلى قامتها الهيفاء النحيلة المنعكسة في المرآة واشاحت بصرها بعيداً. فوجهها كان شاحبا وعيناها متعبتان وحزينتان والكدر يغمر لونهما الرمادي الداكن ويصيب رموشها السوداء الكثيفة بالارتعاش، ابعدت شعرها الأسود الناعم عن وجهها وعقصته خلف عنقها ثم ابتعدت عن المرآة. ولسان حالها يقول انها تبدو كمن جفت دماؤه. تركت باب غرفة نومها مفتوحاً وسارت إلى غرفة الجلوس حيث تناولت كوباً فارغاً وملأته بالشاي.

كانت قد احتست رشفة واحدة منه وكانت بطريقها إلى الكنبة حين سمعت صوت باب سيارة يغلق خارج مدخل الفيللا، قطبت جبينها ووضعت الكوب جانباً وسارت إلى البهو، لكن وبعدما أنارت ضوء المدخل وفتحت الباب الرئيسي، شهقت بشدة.

كان القادم الكساندر كما توقعت لكنه كان شديد الشحوب ويسير بتمايل فيما يده على صدره والألم يظهر بوضوح على قسماته.

كان يعاني من نوبة قلبية كما ادركت فوراً، ان مات فهي لن تسامح نفسها أبداً.

بعد دقائق كانت تنحني فوق الكساندر المسجى على السرير، تخلع له ربطة عنقه بعد ان اتصلت بطبيبه.

راقبت برعب تحول لون وجهه إلى الرمادي وتحول شفاهه إلى اللون الأزرق. فسارعت لوضع اذنها على صدره للتأكد من انه لازال يتنفس وان قلبه لازال ينبض. ظل نظرها على صدره وهي تتساءل، الا زال حياً؟ الا زال يتنفس؟

رأت انه كذلك فعلاً، فارتاحت قليلاً وهمست: «آسفة! آسفة.»

تمتمت بين دموعها والصوت الوحيد المسموع داخل الغرفة طرق غصن شجرة الكرز في الخارج على زجاج النافذة، كانت تسمع هذا الصوت دائماً خلال السنتين السابقتين، لكنه لم يكن مطلقاً موشحاً حزيناً كما تسمعه الآن.

ابعدت نظرها للحظات عن الرجل الممدد على سريرها ونظرت بعينين دامعتين إلى ساعتها، مضت حوالي عشر دقائق الآن على اتصالها الهاتفي بطبيب الكساندر الذي وعدها بإرسال سيارة اسعاف فوراً اليها لنقل الكساندر للمستشفى، إذن لا بد من وصول السيارة في اللحظات القليلة القادمة، فالوضع لا يحتمل الانتظار إطلاقاً...

جعلها صوت صفارة الإنذار تقفز من مكانها فشدت هذا الرداء حول وسطها وهرعت إلى البهو. فتحت الباب بسرعة لترى سيارة الإسعاف تتوقف قرب باب الحديقة.

«اسرعوا.» صاحت وهي تشير إلى غرفة النوم وتنحت مفسحة لهم الطريق.

«انه هنا.»

مرت الدقائق القليلة اللاحقة والاضطراب يكاد يقطع

انفاسها، فاتكأت إلى الباب كي تتحاشى السقوط لشدة خوفها فيما يقوم الممرضان بتمريض الكساندر.

لم يعد للوقت اي معنى لديها... كانت تسمع اصواتهما وتفهم تحركاتهما كأنها في عالم آخر يتوه فيه تفكيرها وعقلها.

لم تتحرك الا بسماعها تعبير: «اعذرينا من فضلك.» ففتحت عينيها مجدداً وابتعدت عن الباب. تبعت الرجال عبر غرفة الجلوس ثم إلى الممر وهي تسأل بصوت وجل: «إلى اين تنقلونه؟»

«إلى مستشفى برادثورب يا سيدتي.»

مستشفى برادثورب تبعد حوالي عشرة اميال عن الفيللا. وقفت مكانها تراقب ابتعاد سيارة الاسعاف وصوت صفارتها يمزق صمت الظلام، وظلت على هذا الحال إلى ان ابتعدت السيارة عن ناظريها ولم تعد تسمع صوت الصفارة.

ثم وبتنهيدة باكية استدارت وعادت للداخل. لكن لا يمكنها بالطبع الذهاب للمستشفى، فقد يشاهدها احدهم هناك، زوجته... أو ابنه. لا بد ان الطبيب قد خابرهما الآن ولا شك انهما في طريقهما إلى المستشفى بدورهما. كما ان الصحافة ستكون هناك بالتأكيد، ففور انتشار خبر تعرض الكساندر ستون مؤسس شركات ستون العملاقة لنوبة قلبية، سيتجمع الصحفيون في بهو مستشفى برادثورب، وآخر ما يحتاجه الكساندر وهي ارتباط اسميهما لدى الصحافة.

عادت إلى غرفة نومها وظلت تحدق بالسرير الفارغ الآن

وعقلها شبه مشلول حين سمعت مجدداً صوت توقف سيارة خارج الفيللا.

ما الذي يحدث؟ لا يعقل ان سيارة الاسعاف عادت ثانية لكن ما يمكن ان يكون غير ذلك؟ من قد يأتي إلى هنا بمثل هذه الساعة من الليل؟ حتى اثناء النهار لا يأتيها أي زوار. فلا احد من اصدقائها يعرف بالفيللا أو بعلاقتها مع الكساندر.

تتابع الطرق على بابها الخارجي بالحاح، وكان الطرق غاضباً نوعاً ما. لم يسبق لها ان شعرت بالاضطراب من قبل مع ان الفيللا شبه معزولة، لكنها تشعر بذلك الآن. فالقتلة لا يطرقون عادة على الباب بل يتسللون من أي نافذة أو باب خلفي كما تفيد كل التقارير الصحفية.

عاد الطرق ليرتفع مجدداً... ورافقه هذه المرة صوت مرتفع.

«افتحي والا حطمت الباب، اعرف انك بالداخل ايتها المحتالة الصغيرة.»

كان الصوت صوت غيدوين ستون. اعترت البرودة لندسي فجأة وخطفت انفاسها وكأن احدهم رماها في بحيرة جليدية قطبية وكان يبقيها تحت سطح الماء. كيف وجد مكانها؟ كيف عرف مكان الفيللا؟ كانت والكساندر بالغا الحرص بإخفاء كل شيء.

لكنها ادركت ان هذا الرجل يقصد تهديده فعلاً، فهي ان لم تفتح الباب فهو سيحطمه دون شك.

تحركت ببطء شديد وخطواتها ترتجف، وعبرت غرفة النوم بطريقها إلى البهو ثم وبأصابع متجمدة كعقلها

تماما بتلك اللحظة ادارت المفتاح في القفل وفتحت الباب.

كان غيدوين ستون متسمراً على الشرفة وكأنه خرج للتو من صفحات مجلات الرعب، لا شك انه قدم توا من حفلة عشاء ساهرة ما، فالبذلة الرسمية الفاخرة التي كان يرتديها كانت تنطق بذلك ورغماً عنها لم تستطع إلا ان تلاحظ مدى ملائمه اللون الأسود له. كان شعره الأسود الفاحم وبشرته السمراء وعيناه الزرقاوين الداكنتين، تتناقض كلياً مع بياض قميصه الناصع.

كان جذاباً بدرجة لا تصدق ولم يكن بمقدور لندسي رغم الحالة التي كانت بها، إلا ان تحس بقوة تأثير جاذبيته الفائقة على اعصابها المضطربة كطرق المطرقة المتواصل.

قالت بدهشة تعكس صدمتها من رؤيته: «ماذا تريد؟»

«سأطلعك على ما أريد.»

ودون انتظار اي دعوة منها، امسك بها بقسوة ودفعها داخل المنزل إلى غرفة الجلوس.

لم تكن قد استعادت جأشها بعد من صدمة تعرض الكساندر لنوبة قلبية. والآن هذا جردها من كل لون واصبحت شاحبة الوجه. استندت إلى الخزانة الصينية وهي تشعر بالدوار، بعد ان دفعها عنه بقسوة وحشية دلت بوضوح على تأجج انفعالاته وعواطفه.

«والدك ليس هنا.» قالت بصوت مخنوق وتابعت: «اخذته سيارة الاسعاف إلى...»

«اعرف تماماً إلى أين ذهب والدي.» قاطعها وعيناه

تلمعان بغضب هائل: «خابرني الطبيب فور استدعائه لسيارة الاسعاف، لكنه اخبرني أيضاً ان فتاة شابة هي من اتصلت به واعطته عنوان هذا المكان لأجل سيارة الاسعاف، لذا قررت قبل ذهابي للمستشفى أن أمر بهذا المكان... للتحدث مع الشخص المسؤول عن وجود والدي في مكانه الحالي.»

«انت لا تفهم.» بدأت كلامها، لكنها ادركت حتى دون النظر اليه ان عينيه قد وصلتا إلى غرفة نومها وانه قد رأى السرير وربطة عنق والده عليه... ولا بد انه اساء تفسير ما يشاهد. هل تلومه على ذلك؟ ذاك المشهد اضافة إلى ردائها يدفعان اي شخص للتوصل إلى استنتاجات كالتي توصل اليها غيدوين ومفادها تعرض الكساندر ستون لنوبة قلبية.

«ما سأقوله لك لن يستغرق وقتاً طويلاً لكني اظنك ستحصلين على الملخص المفيد.» عاد صوت غيدوين ليخترق افكارها وشعرت انها فراشة عاجزة معلقة بدبوس على الحائط تحت ثقل نظراته الحادة الممزقة.

«أجريت بعض التحقيقات بعد لقائنا في مطعم اليزابيت وعرفت انك تعملين لدى وكالة باماريس لمستحضرات التجميل. وحدث ان لي بعض المعارف هناك، في القسم المالي، وبعد إقناع لطيف اعترف لي انك فعلاً تقبضين أجراً منهم... مع ان عملك كعارضة لديهم قليل وغير دائم.

لكن من الواضح ان اجرك مرتفع جداً، قابلت بعض فتيات الطلب ذوات الأجور المرتفعة من قبل لكني ارفع قبعتي إحتراماً لك. فمهما كان ما تكسبينه يا آنسة بالفور فهو شيء

لا يتم ذكره في فاتورة الربح والخسارة. النوم في الأماكن الفخمة لا يدخل ضمن ذلك إطلاقاً.»

تكورت قبضتا لندسي بغضب لكنها أبقتهما داخل جيبيها لمنعها من لكمه، لكم كرهت طريقة مخاطبته لها... لكن رغم ذلك لم يكن بيدها أي حيلة، لم يكن بمقدورها قول شيء للدفاع عن نفسها. ليس على الأقل دون خداع الكساندر ومخاطر تعرض زوجته للحزن الشديد... وليس دون الكشف عن شروط عملها لدى وكالة داماريس، أسرار... لديها الكثير من الأسرار في حياتها... لكن رغم ذلك... بأي حق يهينها غيدوين ستون بهذه الطريقة ويحكم على سلوكها وفقاً لبراهين ظرفية؟

«هل انتهيت؟» قالت بصوت ثابت مصممة على التمسك بالعناد والصرامة لمواجهة هذا الرجل غير المعقول.

«من يعلم.. كم من المستفيدين لديك اضافة لصديقك داماريس البالغ السخاء والكرم، لكن لا تحاولي نكران ان والدي واحداً منهم.» كان صوته قاسياً وحاداً وهو يتابع: «نبأ تعرضه لنوبة قلبية قبل ثلاث سنوات احتل عناوين الصحف في البلدة ولا بد انك تعرفين مدى ضعف صحته، انه غير قادر على مصادقة واحدة مثلك... انت بمثل نصف عمره تقريباً! ان كنت تسعين خلف المال ولا شك عندي بهذا نظراً للنوعية التي تنتمين اليها... فسأدفع لك. سأدفع لك عشرة اضعاف ما تأخذينه منه، استطيع ذلك، وان كنت تسعين للصداقات فأنا جاهز لذلك.» عادت تلك الابتسامة المحتقرة لتتلاعب على فمه وتابع: «حتى ان بإمكاني اعطائك اسماء بعض المراجع ان شئت.»

لم تصدق لندسي ما كانت تسمعه وما كان يرمي اليه لكنها سمعته يتابع: «هذا هو عرضي، عرض تكونين بلهاء ان لم تقبلي به ومن الواضح انك لست بلهاء. اتركي والدي وشأنه وبالمقابل سأضمن لك الحصول على مال يكفي ويزيد عن حاجة قلبك البارد الصغير.»

«والآن...» تابع فيما هو يقترب منها: «... عليّ المغادرة. لكن هناك شيء أخير قبل أن اغادر. فقط في حال ساورتك الشكوك حول الجزء الأخير من كلامي...»

حتى وان اعترى لندسي شبه شلل من وقع حديثه ومعناه عليها الا انها لم تشك للحظة واحدة بما كان ينوي القيام به الآن والا لكانت هربت أو صفعته أو حتى دفعته بعيداً. دون ان تدري وجدته يشدها اليه بقسوة وكأنه يعاقبها على الخطايا التي يعتقد انها قد ارتكبتها بحق والديه.

حين ابتعد عنها ودفعها بعيداً كانت عيناه تنطقان للحظة بالصدمة والخيبة قبل ان تستعيدا تعبيرهما البارد الجليدي والعدائي. لولا تلك اللحظة لاعتقدت ان ما قام به لم يترك بداخله اي اثر بعكس ما كان حالها.

«سأعود.»

كل حرف كان كالقنبلة الصاعقة المتفجرة في وجهها فيما تابع: «وسنناقش شروط اتفاقنا فكوني هنا.» ثم استدار مبتعداً والغطرسة تلون كل حركة من تحركاته. كانت خطواته ثقيلة وسريعة وهو يعبر الغرفة إلى الخارج، ترك باب الفيللا مفتوحاً حين دخل دافعاً إياها معه إلى غرفة الجلوس، لكنه صفقه الآن خلفه بخروجه بصوت هادر أعادها بعض الشيء إلى الواقع.

بدا لها كأنه جرس الانذار وهي تضع يدها على فمها، سيعود، كانت واثقة من ذلك.

سمعت صوت سيارته تبتعد ثم أطبق الصمت. الصمت المطبق باستثناء خفقات قلبها المتسارعة مررت يداً مرتعشة في شعرها المبعثر وسارت بتعثر إلى غرفة النوم. تناولت حقيبة كبيرة من الخزانة، سيعود... في وقت لاحق من هذه الليلة.

لكن حين يعود ستكون قد رحلت.

www.elromancia.com

الفصل الثاني

وشاح حريري أبيض. ثوب أبيض يصل حتى الكاحل. صندل أبيض رقيق. ماكياج باهت اللون وأحمر شفاه بنفسجي. كل خصلة من خصلات الشعر الابنوسي مخفية بعناية تحت الوشاح الابيض... ونظارات شمسية ضخمة تخفي عينيها ونصف وجهها.

فتاة داماريس تبدو أثيرية وهي تظهر على شاشة التلفاز فيما صوت موسيقي يهمس: «أماني العطر الذي لا يقاوم من مستحضرات داماريس لكل ذوي القلوب النقية...»

راقبت لندسي هذا الاعلان التلفزيوني بسعادة وهي ترتب شقتها الصغيرة. فلطالما سعدت برؤية نفسها في هذه الدعاية وفي غيرها أيضاً. ومع أن عمر هذه الدعاية سنتين الآن إلا أن حفنة قليلة من الناس فقط تعرف أن تلك الفتاة الاثيرية هي لندسي بالفور نفسها. تلاشت ابتسامتها ببطء وصدى كلمات غيدوين ستون التي قالها. قبل يومين يتردد في ذاكرتها: «حدث ان لي بعض المعارف هناك، في القسم المالي، وبعد اقناع لطيف اعترف لي أنك فعلاً تقبضين أجراً منهم... ومع أن عملك كعارضة لديهم قليل وغير دائم لكن من الواضح أن أجرك مرتفع جداً...»

ذاك الرجل في القسم المالي على خطأ فأجرها ليس مرتفعاً، لكنهم يحسبون مصاريف السفر والتصوير إضافة لأجرها العادي والذي يرتفع وفقاً لنوعية الاعلان الذي

تؤديه سواء أكان عن مستحضرات التجميل أم العطور أم مستحضرات البحر للحماية من أشعة الشمس.

كان مجيئها إلى لندن للعمل لدى مستحضرات داماريس، صدفة محضة. فلولا حاجتها الملحة لتمريض والدتها لينا، لما تركت الجامعة أصلاً. لكن كانت حالة والدتها الصحية متدهورة جداً وهي ابنتها الوحيدة. وبعد تعرضها للارهاق في النهاية، أدركت لندسي بعد جنازة والدتها عدم حماسها لمتابعة الدراسة. قررت الاتجاه جنوباً وانتهى بها المطاف بالعمل سكرتيرة في شركة صناعية تدعى داماريس. وصدف ان رآها المسؤول الدعائي لدراماريس، فأدرك أنها المطلوبة تماماً لصورة فتاة داماريس وهكذا تم اقناعها من مديرها المباشرة بالعمل لدى داماريس وهذا ما حدث بالفعل.

والباقي، فكرت لندسي وهي تشاهد بقية الاعلان التلفزيوني، كان رسم ابتسامة غامضة على فمها وهي ترمق الشاب الوسيم الذي يتوسل عطفها أثناء مرورها قربه كما هي متطلبات الاعلان. واشتهر بنجاح هذا الاعلان كثيراً وكذلك رسالته.

لقد نصت شروط عقدها مع داماريس أن تبقى بريئة، نقية، دون أن تشوب سمعتها أي فضيحة كي تبقى أمنية كل شخص كما يوحي اسم العطر. وظلت هويتها كفتاة داماريس، سراً محمياً لكن في حال تسرب هذا السر أو تعرضت سمعتها لأدنى شائبة، فستفسد حملة داماريس ويكون مصيرها الفشل.

لا بأس فسمعتها ناصعة وستحرص على بقائها كذلك

فقد ربتها والدتها على أهمية السمعة الحسنة، والواجب يحتم عليها صيانتها والحفاظ عليها. فوالدتها لم تستطع الحصول على ذلك بعد أن شوه سمعتها حبها الجارف لذاك الرجل الغريب وحملها بطفلته بعقد زواج سري. وقررت لندسي ألا تضع نفسها أبداً في هكذا موقف، ستظل نقية شفافة وبريئة وهكذا ستبقى.

لن تفعل شيئاً قد يعرض سمعتها للتشويه... مع أن غيدوين ستون بتصميمه الواضح على إقامة علاقة معها سيجلب لها الفوضى...

عليها التأكد فقط من عدم ايجاده لها.

نظرت إلى ساعتها ثم نهضت عن السجادة. حان الوقت لمعاودة اتصالها بالمستشفى فلعل موظفة الاستعلامات المسائية ستكون أكثر تعاونا من تلك الصباحية التي لم تفدها بأية معلومات. على الأقل عليها المحاولة مرة أخرى لتعرف ما آلت إليه حال الكساندر.

لكن صوت الموظفة المسائية هذه كان بصرامة تلك الصباحية.

«آسفة.» رد الصوت الرقيق الصارم: «لست من أقاربه لذا كل ما أستطيع قوله لك ان حالة السيد ستون مستقرة.»

«هل لا يزال في قسم العناية الفائقة؟»

«آسفة. لا يسعني اطلاعك على ذلك. لم لا تتصلين مجدداً بعد بضعة أيام؟ فقد أتمكن من اخبارك بالمزيد حينها.»

أعادت لندسي سماعة الهاتف بخيبة أمل. ماذا ستفعل؟ لم تستطع تحمل عدم معرفة شيء عن حالته الصحية. كانت تعرف ان الثماني والأربعون ساعة الاولى بعد النوبة القلبية

هي الأشد خطراً، وقد مرت تلك الفترة عليه الآن. فهو في المستشفى منذ أربعة أيام ولم تستفد من اخبار الصحف، فكل ما نكر فيها أن اطباء السيد ستون يبقونه في المستشفى لاجراء المزيد من التحاليل.

نظرت بقلق من نافذة شقتها إلى الشارع في الاسفل ووجدت نفسها تحدق بسيارتها الكاديلاك المتوقفة على الرصيف... وفيما هي تنظر إليها خطرت ببالها فكرة مفاجئة. ستقود السيارة إلى مستشفى برادثورب. وتدخل المستشفى مع حرصها على عدم الاصطدام بغيدوين أو والدته وستقنع أحدهم بإخبارها شيئاً ما عن حالة الكساندر. إن اكتشفت رقم غرفته، قد يكون بمقدورها التسلل لرؤيته، وسيسر لمعرفة أنها بخير.

استغرقت دقائق قليلة للاستحمام وتبديل ملابسها، وارتدت بنطال جينز وبلوزة بيضاء. بعد تردد بسيط وضعت كنزة زرقاء طويلة الأكمام في حقيبتها نظراً لتبدل الطقس السريع في شهر تشرين الأول (ديسمبر)، كما وأضافت الرواية التي تقرأها في الحقيبة، فلعلها تضطر للانتظار قبل أن تتسنى لها الفرصة لرؤية الكساندر.

سرحت شعرها وحملت حقيبتها ثم غادرت المنزل: «أنا آتية يا مستشفى برادثورب.» قالت بعصبية وهي تقفل باب شقتها. وبعد دقائق قليلة كانت تنطلق بسيارتها إلى المستشفى.

كان الازدحام شديداً، ولم تصل إلى المستشفى إلا في الواحدة ظهراً. أول ما قامت به بوصولها، التجول بسيارتها في مرآب المستشفى للتأكد من عدم وجود سيارة الجاغوار

الزرقاء هناك لكن لم يكن لها من أثر. ماذا كانت لتفعل لو رأتها؟ تساءلت عن هذا وهي تغادر سيارتها. لعلها كانت ستذهب لتناول الغداء في مكان ما على أمل عدم ايجادها أثناء عودتها.

كان مبنى المستشفى مؤلفاً من ثلاثة طوابق يعلوها القرميد. وكان مدخلها فاخراً ومحاطاً بالأعشاب الخضراء المزروعة بعناية بالاضافة إلى حديقة غناء تموج بكافة أنواع الأزهار الملونة الرائعة.

صعدت لندسي الدرجات الرخامية القليلة وفتحت باب المدخل بثقة وعزم، ووجدت أمامها مباشرة موظفة الاستعلامات. رسمت ابتسامة على شفتيها وتقدمت من المرأة الجالسة هناك وحولها العديد من الملفات.

«عذراً.» قالت لندسي بصوت لاهث: «هل من مرحاض في هذا الطابق؟»

ردت المرأة باقتضاب: «أجل. سيري عبر الممر الذي إلى اليسار ثم استديري عند الزاوية فتجدينه إلى يمينك.»

«شكراً جزيلاً.»

أهكذا يشعر المجرمون؟ تساءلت لندسي بابتسام وهي تتبع تعليمات موظفة الاستقبال. كان قلبها ينبض بشدة وشعرت بالاحمرار يحرق وجنتيها. لكنها لم ترتكب أي خطأ... على الاقل ليس حتى الآن لحظة وصولها إلى باب مرحاض السيدات. كانت محتارة إلى أين تتابع، حين شاهدت ممرضتان تسيران في الممر وتتجهان نحوها بزيهما الابيض. لكن لندسي رأتهما كشرطيتين قادمتان للقبض عليها. فقاومت شعورها السخيف بالخوف ودخلت

المرحاض، لكن فور دخولها تبعتها الممرضتان. نظرتا إليها للحظة ثم تجاهلتاها. سيطر التوتر مجدداً على لندسي وعبثت بحقيبتها متناولة أحمر الشفاه وتظاهرت بضبط ماكياجها على المرآة.

دخلت الممرضتان كل إلى مرحاض، فتنفست لندسي الصعداء، كانت على وشك مغادرة المكان حين سمعت احدى الممرضات تقول للأخرى:

«يا له من ابن رائع.»

«تقصدين غيدوين ستون؟»

«أجل.»

ابتلعت لندسي ريقها بصعوبة ويدها على مقبض باب الخروج لكنها لم تغادر.

«كيف حال الرجل العجوز الآن؟»

«لقد غادر غرفة العناية الفائقة. وقد نقلوه إلى الطابق الثاني. إلى تلك الغرفة الجميلة التي تطل نوافذها على الحديقة. الغرفة التي وضع فيها مغني الروك الذي تعرض لحادث على دراجته النارية الربيع السابق. فالمال هو الذي يتكلم الآن مهما قالوا غير ذلك.»

«الغرفة ٢٢. تلك هي الغرفة التي أرغب ان اعالج فيها بحال تعرضي لأي مرض...»

قهقهت الممرضة الثانية وقالت: «أراهن أنك سترغبين بمجيء غيدوين ستون لزيارتك هناك أيضاً. لو كنت أنا المريضة لتعافيت فور دخول ذلك الوسيم من الباب...»

شعرت لندسي بساقيها ترتجفان وهي تغادر المرحاض وتسير في الاتجاه الذي أتت منه الممرضات. يا لضربة

الحظ هذه! لكن مستشفى برادثورب صغير الحجم ووصول مريض كالكساندر ستون إليها لن يكون بالحديث العادي للممرضات وللأطباء على حد سواء... هذا دون ذكر تأثير غيدوين ستون على كل نساء المبنى باستثناء صغيرات السن جداً وأولئك الغارقين في غيبوبة.

لم تتجرأ على العودة إلى بهو الاستقبال لتستقبل المصعد الكهربائي مخافة رؤية أحدهم لها وسؤاله لها عن المكان الذي تقصده. لذا تابعت طريقها نحو لافتة مخرج حيث وصلت إلى السلالم وهذا كان مبتغاها. كل شيء يسير كما ترغب. والثقة التي اصطنعتها بدخولها المستشفى بدأت تصبح حقيقية الآن. فقد ظلت تردد لنفسها أن لها كل الحق بالتواجد هنا... بالطبع وحدها والكساندر العارفان بهذا الحق... لكن تحليلها بأحقية وجودها هناك منحها الهدوء والثقة.

وجدت نفسها تبتسم وهي تفتح الباب المؤدي إلى الطابق الثاني. بعد دقائق قليلة وإن ساعدها الحظ سترى الكساندر. فتحت حقيبتها وتناولت الهدية التي أحضرتها له، علبة حلوى من الصنف المفضل عنده. لم تجد صعوبة بتحديد غرفته، فهي أمامها مباشرة والرقم ٢٢ محفور بوضوح على بابها.

لسعادتها كان الباب نصف مفتوح مما سيتيح لها إلقاء نظرة إلى الداخل والتأكد إن كان بمفرده. أعادت حقيبتها إلى كتفها وأمسكت علبة الحلوى بيد وشعرت بالتوتر مجدداً وباضطراب خطواتها. ابتلعت ريقها بصعوبة وتحركت ببطء عبر الممر وكلها آذان صاغية لأي صوت

قد ينبعث من الغرفة أو من الممر، فيما كانت عيناها مركزتان على باب الغرفة.

كانت قد دخلت الممر الصغير المؤدي إلى الغرفة وكانت على بعد خطوات قليلة عن باب الغرفة حين فتح الباب وخرج منه غيدوين ستون ووالدته...

يا لتعاسة حظها!

أرادت الاستدارة والهرب لكنها لم تستطع. لم تستطع التحرك أو حتى التفكير، كل ما استطاعته التحديق بهما بعدم تصديق. لم ترها لورا بعد... فهي كانت تتناول فوطة من حقيبتها... لكن غيدوين رآها فوراً.

أغلق الباب خلفه وسار نحوها وذراعه حول كتف والدته. لم يكن هناك بالطبع أي طريق آخر. لم تغادر عيناه وجهها ولا للحظة واحدة ولم تشاهد هي هكذا نيران غضب متأججة في عيني أحد من قبل... كان يرتدي بنطالا ازرق وقميصاً رمادي... وانعكست هذه الالوان على عينيه، مظهرة الحدة والغضب الجامح الموجه إليها.

لقد عرفت بما كان يفكر، أراد منعها من رؤية والده، لكن إن واجهها الآن فقد يلفت انتباه والدته وهذا بالطبع آخر ما يريده. لا... سيدرك أنه من الأفضل أن يتجاهلها تماماً.

لكنها كانت مخطئة.

«لا بد أنك ضائعة.» قال بصوت لا يعكس شيئاً من الغضب المتأجج بداخله: «هذا جناح خاص لا يسمح بدخول أي زائر باستثناء أفراد العائلة.»

قالت بصوت متقطع: «آسفة... أجل أنت محق. لقد ضعت...»

مع انتهاء كلماتها أقفلت لورا حقيبتها... ورفعت نظرها لتنظر مباشرة إلى لندسي. وفور تلاقي نظراتهما، رأت لندسي تعبير الصدمة المفاجئة يلمع داخل عيني المرأة الأكبر سناً. فقد بدت وكأنها رأت شبحاً.

رأتها لندسي ترمش بقوة وتترنح قليلاً ثم تتمسك بشدة بذراع غيدوين: «هل أنت بخير يا لورا؟» سأل غيدوين بتقطيب وهو ينظر إليها بقلق.

«مجرد دوار بسيط.» ردت والدته وهي لا تزال تحدق بلندسي وكأنها غير قادرة على ابعاد نظرها عنها: «القلق على والدك أثر بي دون شك.»

«ستكونين بخير فور جلوسك. لنصل إلى السيارة... وأنا من سيقود هذه المرة. أعرف أنك لا تحبين أن يقود أحد سيارتك البيجو لكن في هذه الظروف...»

وصل في هذه الأثناء طبيباً في مقتبل العمر وابتسم لرؤيته غيدوين ووالدته.

«طاب صباحك يا سيد ستون. اتيتما لعيادة المريض؟»

«فعلنا ذلك. وبقينا لبضع دقائق فقط نظراً لحاجته للراحة. هلا تأكدت من عدم مجيء أي زائر إليه اليوم؟ ومن فضلك تأكد تماماً من هوية زواره من الحين فصاعداً. وهلا جعلت الاستعلامات تتأكد من كل من يدخل إلى هذا الطابق؟ نريد حمايته... من الزائرين غير المرغوب بهم.» ورمق لندسي بنظرة وهو ينطق بكلماته الأخيرة ثم تابع: «لا يسمح سوى للأسماء المذكورة في اللائحة التي أعطيتك إياها بزيارته.»

أدركت لندسي من النظرة الصارمة التي رماها بها الطبيب إن رسالة غيدوين وصلت إليه.

«عذراً.» تمتمت وهي تحارب شعور الاغماء الذي بدأ يسيطر عليها وهي تسير مبتعدة. سقطت علبة الحلوى من يدها وسمعتها ترتطم بالأرض لكنها لم تتوقف لتناولها، فجل ما ارادته هو الابتعاد.

سمعت الطبيب يقول: «والآن سيدة ستون أود محادثتك بشأن نتائج الفحوصات الأخيرة التي أجريناها لزوجك البارحة...»

تأوهت لندسي وهي تبتعد لتحرقها لسماع ما سيقوله الطبيب، لكنها لم تتوقف ولا حتى للحظة واحدة. سيستخدم غيدوين ووالدته المصعد في نهاية الممر بعد انتهاء حديثهم، وسيحتاجان وقتاً أطول منها للوصول إلى مرآب السيارات. وتريد أن تكون بعيدة تماماً بوصولهما إليه. كانت قد وصلت أسفل السلالم حين سمعت صوتاً حاداً خلفها: «توقفي.»

شهقت بخوف واستدارت تنظر للأعلى، اعتراها الخوف لرؤية غيدوين ستون خلفها وهو يحمل بيده الكيس الورقي الذي يحوي علبة الحلوى.

«أسقطت هذا. ولحسن الحظ فهذا منحني الحجة المناسبة للحاق بك...»

«لم يكن من داع لازعاج نفسك.» ردت لندسي بمرارة: «فهذه كانت... لوالدك. وقد عملت جاهدة على عدم رؤيتي له.»

«أجل هذا صحيح.»

«هلا أخبرتني على الأقل إن كانت معنوياته مرتفعة؟» قالت ذلك بتحدي وهي كارهة لاضطراها سؤاله أية خدمة، لكنها أرادت الاطمئنان على الكساندر بأي ثمن.

تجاهل سؤالها ورد بسؤال: «هل فكرت بعرضي؟»

«عرضك...؟»

عكست عيناه الجرأة والاحتقار وهو يقول: «لا تتظاهري بعدم معرفتك لما أعني...»

«حسناً لن أفعل.» قالت وهي تنظر إليه ببرود لكن الأفكار تتسارع في رأسها، إذن لا نية لديه باطلاعها على أي شيء بخصوص صحة الكساندر... عليها الايقاع به وخداعه إذن كي تسحب منه المعلومات.

هزت كتفيها وقالت: «أجل فكرت قليلاً بذلك. أنا مستعدة لأخذه بعين الاعتبار لربما بإمكاننا التقابل يوماً ما للتحدث بهذا الشأن. لكن بشرط أن تطلعني الآن على حالة الكساندر الصحية.»

لم تظهر عليه أدنى دهشة من رغبتها بالتفاوض. بل لمعت عيناه بطريقة أخبرتها أنه كان واثقاً من موافقتها: «لقد تخطى مرحلة الخطر كما يبدو.»

«هل... معنوياته مرتفعة؟»

«لا.» رد بجفاف: «إنه ليس كذلك. إنه مشوش الذهن والفضل باعتقادي يعود لك في ذلك دون شك.»

شعرت لندسي بقلبها يعتصر لسماعها ذلك وسحبت نفساً عميقاً قبل أن تتابع: «إذا... وعدتك بعدم محاولة رؤيتي له ثانية، فهل... تخبره... إنني كنت هنا... وإنني بخير؟»

«وستكون هذه المرة الأخيرة التي تحاولين فيها الاتصال به؟»

«أجل.» ردت بصوت مبحوح: «أعدك.»

ما أدراه هو أنها سبق ووعدت نفسها أصلاً بذلك وانها

كانت مستعدة لنقض هذا الوعد اليوم فقط نظراً لشدة قلقها على الكساندر؟ ما أدراه أن تصميمها على عدم رؤية الكساندر ثانية هو السبب في تعرض والده للنوبة القلبية؟

امتدت فترة الصمت بينهما ثم سحب نفساً عميقاً قبل أن يبدأ: «لا أعرف لماذا أصدقك... لكن ثقي أنني لو اكتشفت يوما أنك كذبت علي وثقي من ذلك تماماً، فستعيشين بقية حياتك نادمة على اللحظة التي رأيت بها والدي... أو رأيتني.»

ناولها كيس الحلوى بازدراء قائلاً: «هاك، بإمكانك أخذ هذا معك أيضاً مهما كان ما بداخله... مع أنه يحتوي بتصوري على هدية قيمة جداً كنت تأملين بالحصول على الكثير من ورائها.»

لم تستطع إبعاد نظرها عن عينيه. لم يسبق لها أن رأت عينين ذات قوة كعينيه، كما لم يسبق لها رؤية هكذا رموش سوداء كثيفة وهكذا حواجب داكنة.

«انها مجرد علبة حلوى.» همست: «هو يحبها. هو يحب الحلويات.»

«لكم هذا مؤثر.» قال ذلك وابتسامة ساخرة ترتسم على شفتيه: «إذن... أنت أذكى مما تخيلت. أجل من المعروف أن والدي يحب الحلويات وأعترف أنني أحب الحلويات بدوري. لا بد أن هذا وراثي بالعائلة.»

أدركت أن عليها الابتعاد فور ان مدّ يده ليلامس يدها وحين اقترب منها اكثر، لكنها لم تستطع التحرك قيد أنملة.

«ها أنت هنا، والدتك بانتظارك يا سيد ستون...»

نظرا معا للأعلى، كانت ممرضة تقف عند أعلى السلالم

وتنظر بعينين جاحظتين والاحمرار يعلو وجنتيها. تابعت: «لم تعرف ما الذي يعيق عودتك.»

«سآتي على الفور.» رد غيدوين باقتضاب فابتعدت الممرضة بارتباك وأغلقت الباب خلفها.

«هذه الليلة.» قال وهو ينظر إليها مجدداً بنظرة داكنة مزدرية: «سآتي إلى شقتك هذه الليلة و... سنتكلم.»

شلها الخوف وأدركت أن الكلام هو آخر ما ينويه... والليلة؟ لم تتوقع منه القبول بدعوتها بهذه السرعة... ليس فيما والده لا زال في المستشفى.

تمتمت بتلعثم: «حسناً، الليلة. أراك حينها.»

قال بجفاف وقسوة: «وهذه المرة أحذرك... كوني هناك. لا أملك لا الوقت ولا الصبر للعب لعبة الغميضة.»

إذن... فقد عاد تلك الليلة إلى فيللا تاماريسك. أمسكت بكيس الحلوى واستدارت سريعاً مبتعدة عنه. وكادت أن تتعثر بالدرجات لشدة اضطرابها.

لحسن الحظ انه لا يعرف مكان سكنها فكرت وهي تغادر المستشفى. لكن حتى وهي تفكر بذلك شعرت بالدم يتجمد في عروقها.

ما دام غيدوين ستون يعرف بعملها لدى مستحضرات داماريس فمن السهل عليه معرفة مكان سكنها، ولعله يعرف ذلك منذ الآن... ولولا أن صحة والده متدهورة، فالأرجح أنه كان سيطرق باب شقتها قبل الآن. يا لهذه الفوضى العارمة، ما الذي ستفعله؟

لكنها كانت واثقة تماماً من شيء واحد، عليها مغادرة لندن إلى مكان لن يجدها فيه غيدوين ستون أبداً. ستذهب

إلى تورمور حيث تركت لها والدتها البيت. لن يجدها أبداً هناك... انه المكان الوحيد في العالم الذي ستكون فيه بأمان.

هناك فقط ستكون بمنأى عن غيدوين ستون، وعن علاقة لن تؤدي إلا إلى مأساة. فمجرد وجودها يهدد عائلته... ما خطب وجهها حتى يعكس ردة الفعل المرعبة تلك في عيني لورا؟ أسبق ورأتها برفقة الكساندر؟ هل تعتقد بوجود صديقة لالكساندر... وأن لندسي هي المرأة الأخرى؟

كان غيدوين ستون رجلاً شديد الوسامة والجاذبية يؤثر عليها بطريقة لم تعهدها من قبل أبداً. إن رأته ثانية فهل ستتمكن من صد محاولاته للتقرب إليها؟ وتسارعت نبضات قلبها وهي تصل بتفكيرها لإمكانية وقوعه في حبها، لكم سيكون الوضع مستحيلاً حينها، فهي لن تسمح لنفسها أبداً بالذهاب معه إلى منزل ستون كي يتم الترحيب بها ضمن عائلته.

لأنه بحال اكتشاف زوجة الكساندر الحقيقة فإنها... وللمرة الثانية... ستتعرض لنوبة قلبية قاتلة. أي قلب امرأة لن يتعرض لذلك بحال اكتشافها انه بعد ثلاث سنوات فقط على وفاة ابنتهما الصغيرة الحبيبة تورط زوجها بعلاقة مع امرأة اخرى. بالطبع ألم مثل هذا، سيكون أكثر مما قد يتحمله قلب أي امرأة ضعيف.

دمعت عينا لندسي وهي تخرج بسيارتها من مرآب المستشفى. هي بدورها لديها مشاكلها الخاص وسرها الخاص الواجب عليها إخفائه بعناية.

العلاقة التي تربطها بالكساندر كانت عميقة وسرية. كانت والدتها لينا بالفور تلك المرأة الأخرى في تلك العلاقة العاطفية قبل سنوات عدة والتي أدت الى زواج سري... وكانت لندسي طفلة تلك العلاقة. طفلة بقيت مجهولة الأب لكثيرين.

كانت لندسي بالفور الابنة السرية لالكساندر ستون.

الفصل الثالث

يقع منزل تورمور على سفح جبل مور في مقاطعة موراي في شمالي شرق اسكتلندا.

منزل يعلوه القرميد وحظيرة صغيرة ومنزل للعمال بالإضافة إلى مساحة لا بأس بها من الأرض التي كانت بحوزة عائلة بالفور لأجيال. كانت في البداية ملكية مستأجرة لكن تمكن جد لندسي من شرائها وابقائها لاحفاده من بعده، وهكذا وصلت ملكية المنزل والمزرعة إلى لينا والدة لندسي التي كانت وحيدة والديها.

كانت خطط كثيرة بانتظار لينا التي كانت تتمتع بذكاء متوقد وبعلامات نجاح عالية في المدرسة. وبوفاة والديها كانت قد تخرجت من المدرسة الثانوية بدرجة شرف وكانت تتحرق لدخول الجامعة حين توفي والداها بشكل مأساوي في حادث احتراق الفندق الذي كانا ينزلان فيه احتفالا بذكرى زواجهما العشرين.

وبعد يومين من الجنازة كانت لينا تسير دون هدف في الغابة المحيطة والدموع تملأ عينيها حين التقت للمرة الأولى بالكساندر ستون. هو بدوره كان يسير دون هدف في المكان ذاته. حياها بمروره بها، لكن حين لاحظ انها تبكي سألها ان كانت ترغب بإطلاعه على ما يحزنها... وبما انه كان غريباً وجدت لينا راحة في البوح بمكنونات قلبها له لتخفف من عبء الحزن الهائل الذي كانت تشعر به... واصبحا صديقين.

www.elromancia.com

كان يملك منزلاً صيفياً يبعد بضعة اميال عن تورمور، في إحدى الأمسيات فيما كان ولينا يراقبان غروب الشمس وانعكاس ضوئها الشاحب على مياه البحيرة أخبرها عن سبب تواجده شمالاً في هذا المكان المنعزل بمفرده وبمثل هذا الوقت من السنة.

لقد قال لها: «كان لديّ وزوجتي لورا ابنة اسمها ربيكا، ذات شعر أسود وعينان عسليتان، كانت تملأ حياتنا سعادة وفرح، وكنا نعرف بعد انجاب ربيكا، ان لورا لن تتمكن من الانجاب ثانية أبداً، لكن احدنا لم يأبه لذلك، فسعادتنا بربيكا كانت اكثر من كافية لنا.»

اختنق صوته عند هذا الحد بالعبرات واعتقدت لينا انه لن يتمكن من المتابعة لكنه فعل، اخبرها انهما فقدا ربيكا بعمر السابعة جراء مرض اللوكيميا. حينها امتلأت عيناه بالدموع ثانية واخبرها انه خسر زوجته أيضاً لكن بطريقة مختلفة.

تابع يخبرها: «مضت ثلاث سنوات على موت ربيكا، لكن لورا لم تتقبل ذلك حتى الآن، فقد عزلت نفسها عن كل شيء... حتى عني أنا. لم يعد زواجنا قائماً فعلياً...» ولينا التي لم تعد قادرة على تحمل التعاسة المنعكسة في عينيه أمسكت يده بحنان وتعاطف.

سار معها بعد ذلك إلى المنزل وتابعا التحدث حتى الفجر. تعاسة لينا هي ما جمعهما في البداية، والآن مشاركتهما الأحزان وطدت أواصر العلاقة بينهما، العلاقة التي ازدادت قوة يوما بعد يوم. قضيا الاسابيع الثلاثة اللاحقة معاً بالتنزه في الغابة والتحدث وكل يجد العزاء لدى الآخر.

لم ينفصلا عن بعضهما في الأسبوع التالي واخذا يخططان بحب وحماس للمستقبل. ثم تحطم كل شيء حولهما، استلم الكساندر رسالة من زوجته. الزوجان مارك وانجيلا لارسون وهما صديقا العائلة قتلا في حادث تحطم طائرة، عليه العودة إلى لندن لحضور الجنازة.

عندما عاد للمنزل، وجد امامه لورا أخرى، فقد تيتم غيدوين ابن مارك وآنجيلا الذي كان بسن العاشرة وقد احضرت لورا الفتى إلى فيللا ستونثروب وقد غير وجوده بشكل لا يصدق تصرفات لورا، وقضى على التعاسة الدائمة التي كانت مسيطرة عليها. ارادت ان تحضنه وترعاه واخبرت الكساندر بحماس انها ستبدأ معه أيضاً بداية جديدة، كان الذنب يمزقها جراء الهجر الذي كان بينهما، وتوسلت إليه ان يغفر لها.

غفر لها... لكنه لم يخبرها شيئاً عن زواجه السري. اتصل بلينا واخبرها بإنهاء علاقتهما، واستلمت بعد ايام قليلة عبر البريد ورقة طلاقها وساعة رولكس فاخرة. توسل اليها مرسلها الكساندر ان تقبلها كذكرى منه، كما كتب لها، كان الذي بينهما لا يثمن بمال بالنسبة له.

لم يكن من السهل على لينا تقبل قراره، مع انه لم يخف عليها يوماً مدى حبه للورا، احب لينا بدورها لكن بطريقة مختلفة وكان صادقاً في علاقته معها منذ البداية واخبرها انها ستكون المرأة الثانية في حياته رغم حبه العميق لها...

هذه هي القصة التي اخبرتها لينا لابنتها حين اصبحت لندسي كبيرة كفاية لتسأل عن هوية والدها ولماذا لا يعيش معهما في تورمور.

ما اخبرتها به لينا ايضاً: «بعد بضعة اسابيع على رحيل الكساندر وقبل التحاقي بالجامعة عرفت انني حامل. حامل بطفل الكساندر، لذا اضطررت لتغيير كل خططي. في تلك الأيام لم يكن تقبل الوالدة في الجامعة بالسهولة القائمة الآن، ووجدت انه فور انتشار الخبر عن حملي في تورمور ادار لي معظم معارفي ظهورهم، لكن لم يكن لدي مكاناً آخر ألجأ إليه، لذا بقيت هنا في هذا البيت.»

لاحقاً وحين اصبحت لندسي راشدة، تجرأت وسألت والدتها: «هل فكرت يوماً... بالإجهاض؟»

«لا، مطلقاً... فقد احببت الكساندر... كما احببتك دوماً، وفكرة الاجهاض لم تخطر ببالي ابداً.»

«ولم تخبريه قط.»

«لا، لم اخبره أبداً، لا احد سوى انت وانا نعرف هوية والدك.»

«هل شاهدته ثانية؟»

«لا، حسب علمي لم يأت إلى اسكتلندا مطلقاً، واهمل منزله الصيفي، ولا اظن احدهم سكنه منذ سنوات.»

هكذا، وجدت لندسي نفسها صباح اليوم التالي تدور حول التلة القريبة متجهة نحو المنزل الحجري الصغير المخبىء بين اشجار الصنوبر، بعد ان ركبت دراجتها. على بوابة الدخول تسلقت أعلى السور وقفزت إلى العشب داخل الحديقة، قضت ساعات تتجول في المكان وتتخيل تواجد والديها معاً هنا قبل سنوات وسنوات.

صارت تزور المكان كلما سنحت لها الفرصة بعد ذلك. وكانت اثناء زياراتها السرية تتخيل ان الكساندر تحرر من

زوجته وجاء بحثاً عن والدتها وقد غمرته السعادة لاكتشافه ان لديه ابنة، حتى انها تركت افكارها تلون لها مستقبلاً سعيداً بعودة الكساندر للعيش مع والدتها وكيف سيكونون معاً عائلة سعيدة.

شعرت بغصة الم تعتصر قلبها، كانت محقة باندهاش الكساندر وسعادته بمعرفته ان لديه ابنة. لكن فيما يتعلق بالبقية؟ كان ذلك مجرد اضغاث احلام فتاة يافعة، فقد ادركت انها لن تكون يوماً جزء من عائلته.

الآن فيما تقود سيارتها شمالاً شعرت بقطرات الدموع في عينيها فمسحتها بظاهر يدها. لماذا تسمح لنفسها بالغرق في هكذا ذكريات حزينة؟ انها تحيا حياة راضية، لديها شقة جميلة في المدينة، وبيت ريفي رائع وعمل بأجر جيد لدى داماريس واعمال مكتبية أخرى تردها بين الحين والآخر من الشركة التي كانت تعمل بها سابقاً.

الشيء الوحيد الذي تفتقده هو الحب.

ذاقت والدتها طعم ذلك، ما كانت النتيجة حياة موحشة وحيدة وألم لا ينتهي وشوق لمن تحب. لن تدع لندسي نفسها تقع أبداً في هذا الفخ. الأفضل لها الاكتفاء بالقليل والرضى بما لديها.

مهما طالت فترة غياب لندسي عن تورمور كانت تتلقى الترحيب الحار ذاته من يورغ كلب الحراسة في مزرعة باوند المجاورة للبيت.

«كيف حاله يا ماريا؟»

اجابت ماريا باوند الزوجة المزارعة الطيبة القلب والتي كانت سعادتها عارمة برؤية لندسي: «انه بخير، كالعادة

يستمتع بالهدوء والكسل اثناء غيابك. كيف حالك أنت؟ تعالي الآن وتناولي الغذاء معنا قبل قيامك بأي شيء آخر، فأنا احضر كعك الزبدة الذي تحبينه للتحلية.»

رغم مداعبة الرائحة الذكية لأنف لندسي الا انها ردت: «شكراً لك، انا بخير لكني لن أتمكن من تلبية دعوتك رغم انني أود ذلك... لكني سأمر بكما لاحقاً لأراك انت وبوب. أما الآن فأنا على عجلة من أمري وقد استغرق الطريق مني اكثر مما توقعت، الأفضل لي المتابعة للوصول إلى البيت باكراً.»

«حسناً. لكنك ستعودين قريباً لزيارتنا، كم ستبقين هذه المرة؟»

«لست واثقة.» ردت لندسي وهي بطريقها إلى سيارتها: «لربما اسبوعين مبدئياً، آه الطقس شديد البرودة، بدأ الشتاء باكراً أليس كذلك؟»

«ردت ماريا وهي ترمق الجبل القريب بقمته المكللة بالثلوج وإلى الغيوم التي تغطي السماء: «أجل ستهطل الثلوج للمرة الأولى هذا الموسم. قريباً عليك تخزين الكثير من الأطعمة تحسباً لأي طارىء.»

«احضرت مايكفي لشهر كامل.» قالت لندسي ذلك مبتسمة وهي تشير إلى صندوق السيارة الخلفي.

أجابت ماريا: «جيد، والبيت جاهز، اخذني بوب اليه هذا الصباح بعد اتصالك هاتفياً وقد رتبته لك ونظفته تماماً، لكني حتى الآن لا أرغب ببقائك وحدك هناك بعيدة عدة أميال عن الجميع.»

«لدي هاتفاً الآن يا ماريا.»

ردت ماريا متنهدة: «لكن رغم ذلك...»

قالت لندسي: «كدت أنسى.» واخرجت من حقيبتها مغلفاً: «هاك الشيك الخاص بك، مع ان المال ليس كافياً لشكرك على كل ما تفعلينه لأجلي.. وخاصة اهتمامك بيورغ اثناء غيابي.»

«كان يورغ كلب والدتك المحبب.»

قالت ماريا الكلمات ببساطة، لكن لندسي شعرت بغصة في حلقها وهي تسمع ذلك، كانت ماريا باوند المرأة المخلصة التي ساندت والدتها في محنتها وتفهمت ما حدث لها وعاونتها في حملها واعتبرت ما يقوله الآخرون مجرد ثرثرة فارغة وقاسية، وقد نشأت لندسي على حب هذه المرأة الطيبة... وكان الحب متبادلاً بينهما وبالأفعال لا بالكلمات فقط.

كانت العلاقة بينهما قوية ومتينة، وتاقت لندسي لاحتضان المرأة السمينة لكن ماريا نشأت في منزل صارم وستمتعض بالتأكيد من هكذا تصرف. كل ما استطاعت لندسي القيام به، هو التربيت بحب على كتف ماريا متمنية ان تدرك الأخيرة عمق الحب والتقدير الذي تكنه لندسي لها.

انطلقت لندسي بعد لحظات ويورغ على المقعد المجاور بعد وداعها لماريا.

«بلغي تحياتي لبوب، اراكم لاحقاً.»

بيد على المقود وأخرى تداعب وبر يورغ الكثيف تابعت القيادة وهي تدندن لحناً شعبياً فبعد اقل من نصف ساعة ستكون في منزلها. في منزلها حيث ستشعر بالأمان.

الأمان من الرجل المصمم على التحكم بحياتها.

عصفت الرياح القوية المصحوبة بالامطار الغزيرة بتورمور حاملة معها بوادر الشتاء القاسي بعد اسبوعين من وصول لندسي إلى البيت وفيما هدأت الرياح بدأت، ولدهشة لندسي، الثلوج تهطل بلطف، فأسرعت لوضع سترتها عليها وخرجت لإحضار المزيد من الأخشاب للمدفأة، فإذا استمر هطول الثلج قد لا يسهل الخروج ثانية أثناء الليل.

جمعت أولاً قطع الخشب وادخلتها للمنزل ثم جمعت كمية من البطاطا والشمندر والجزر من غرفة المؤونة ووضعتها في المطبخ، ثم في النهاية وبعد ان غطتها طبقة رقيقة من الثلج ادخلت سيارتها إلى الحظيرة واغلقت الباب عليها جيداً تحسباً لاشتداد العاصفة، فعادة يقطع سقوط الثلج الطريق المؤدي إلى البيت وعليها الاستعداد للبقاء معزولة لعدة ايام بحال تواصلت العاصفة.

حال دخولها البيت، انشغلت في المطبخ وصوت الرياح في الخارج يشبه العويل ولم تتذكر الا بعد حوالي الساعة انها نسيت ادخال الغسيل، في هذا الوقت كان الثلج كثيفاً على الأرض والعاصفة مستمرة بقوة.

جمعت الملابس بعينين شبه مغمضتين نتيجة الهواء الجليدي العاصف واسرعت نحو باب البيت منادية يورغ الذي كان على الطرف الأبعد للسياج وينبح بشدة. لطالما كانت الرياح تزعج يورغ لكنه هذه المرة مضطرب اكثر من العادة. واضطرت لندسي لمناداته ثلاث مرات قبل ان يسمع نداءها ويطيع.

لم تنتبه لندسي إلا بعد ان دخلت ويورغ المنزل

واوشكت على اغلاق الباب خيال رجل يقترب نحو البيت من البعيد.

بدا عند أول الطريق المؤدي إلى البيت واعتقدته لندسي مجرد خداع بصر. لكنها حدقت بتردد والرياح العاصفة تجمد عنقها وتبعثر شعرها. سمعته يصرخ لها بشيء ما لم تستطع الرياح ان تحمله اليها.

حينها وحينها فقط ميّزت ان الرجل لم يكن غريباً، زمجر يورغ بوحشية مظهراً اسنانه الحادة. وفيما استعد الكلب للانطلاق امسكت لندسي بطوقه وزجرته وأبقته داخل المنزل.

قالت: «ابق هنا يا يورغ.» ورمت الغسيل على الطاولة ثم اغلقت الباب بالمفتاح واقفلت المزلاج الحديدي. اتكأت إلى الباب وقلبها يخفق بشدة، لم تكن مضطرة للتأكد من احكام اقفال النوافذ فهي تبقيها كذلك على الدوام.

كيف تمكن من ايجادها؟ طرحت على نفسها هذا السؤال وهي تصارع موجة الرعب التي بدأت تجتاحها.

قفزت من مكانها حين هزت طرقة قوية الباب الخشبي، سبق وحدث هذا... انه غيدوين ستون الذي يطالب بالدخول إلى حياتها.

صاحت به: «إرحل.»

سمعت صوته فوق صفير الرياح مجدداً ينطق بشيء ما، لكنها استطاعت هذه المرة ان تميز بعض الكلمات.

«ادخليني... افتحي الباب... لقد تعطلت السيارة... مصاب...»

شدت ذراعيها حولها وادركت انها ترتجف. هل يقول

الحقيقة؟ أم ان هذه مجرد خدعة كي...؟ مجدداً طرق الباب بقوة جاعلاً إياها تقفز بذعر.

قال: «اسرعي يا امرأة.» وبدت كلماته اضعف لكنها سمعتها بوضوح نظراً لتوقف صوت الريح لفترة بسيطة وتابع: «قبل ان يغمى علي...»

بالكاد استطاعت لندسي ابتلاع ريقها، لكنها اضاءت المصباح الخارجي. تحركت ببطء إلى النافذة وألقت نظرة للخارج. كانت القامة الطويلة المألوفة مغطاة بالثلج كلياً. كل ما استطاعت رؤيته كان أبيض اللون... سترته، بنطاله وحتى شعره الكثيف الأسود... كل شيء كان أبيض اللون باستثناء الدم الكثيف والداكن الذي كان يتدفق من وجه غيدوين ستون من جرح عميق في جبهته.

شهقت لندسي وهرعت إلى الباب. ودون ان تمنح نفسها فرصة للتفكير سواء اكان ما تفعله صواباً، أرخت المزلاج وحركت المفتاح. حين فتحت الباب كاد ان يهوي غيدوين عليها.

«سعيد لأن هناك احد في المنزل.» قال ذلك بصوت ضعيف، ثم تابع: «إلى ان شاهدت ضوء من بداية الطريق هناك، اعتقدت انني سأقضي في ذلك الخندق.»

لم يستطع إكمال الجملة ودون التوقف للتفكير وجدت لندسي نفسها تهرع لتمسك بذراعه كي تجنبه السقوط. ويبدو انها فعلت ذلك في الوقت المناسب فقد اهتز بشدة وكاد ان يتعثر ويسقط فعلاً، زمجر يورغ بصوت خافت لكنه عاد لالتزام الصمت بعد ان أمرته لندسي بذلك.

قالت: «يجب ان تستلقي.» وعقلها عاجز عن التفكير بما عليها القيام به وهي تشاهد وجه غيدوين الشاحب وعيناه

البراقتان، بينما القطرات الدم تسيل من جبينه إلى سترته وإلى السجادة، ان لم تفعل شيئاً لإيقاف هذا النزيف فقد تحظى بجثة في منزلها. ازالت الثلج عن رأسه وسترته ثم تناولت إحدى المناشف النظيفة التي احضرتها قبل قليل وبعد إزالة الثلج عنها ضغطتها على الجرح في جبينه.

أمرته قائلة: «أبق المنشفة هنا، هل يمكنك ذلك؟»

اطاعها لكنها لم تعرف إلام سيبقى قادراً على ذلك نظراً لضعفه الشديد الذي كان يتزايد. على كل حال كانت الأولوية لنقله إلى السرير الآن فلا يجب تركه حتى ينهار على الأرض هنا فلن تتمكن من حمله بحال حدوث ذلك ومن ثم ستتمكن من معالجة جرحه.

قالت بسرعة: «إتكي عليّ.»

كان على وشك الإغماء وحين وضعت ذراعه حول عنقها ألقى بكل ثقله عليها، ولمرة في حياتها شعرت بالرضى كونها طويلة القامة ورياضية. صرت اسنانها وتمكنت بطريقة ما من الوصول به إلى غرفة النوم ومن ثم إلى السرير الأقرب من السريرين الصغيرين داخل الغرفة... السرير الذي تنام عليه هي عادة.

قالت بصوت عملي: «لننزع هذه السترة.» وتعاونا معاً على ذلك، كان يضع قميصاً سميكاً تحتها لكنه كان مبللاً بالدماء ورطباً من الثلج لذا اضطرت لخلع ذلك القميص أيضاً. وكان قميصه القطني جافاً ولم تصل الدماء اليه بعد.

توسلته: «قف للحظة فقط. لحين تحضيري للسرير.»

تمايل بشدة حين أبعدت ذراعها عن كتفيه فأسرعت بإزالة الأغطية فيما هو يترنح بشدة.

«حسناً، بإمكانك الآن...»

لكنها لم تكمل جملتها لم يكن من داع لذلك فقد تهاوى على السرير باعياء. لحسن الحظ حط رأسه على الوسادة لكن قامته كانت اطول من السرير وظلت اقدامه خارج السرير، كما ظلت المنشفة على جبينه.

تمتم بوهن: «انا آسف لتعريضك لكل هذا، سيلطخ الدم كل شيء هنا...»

«دع لي القلق بهذا الشأن.» وبالكثير من الشؤون الأخرى حين يتحسن ويستعيد السيطرة على الوضع... ويبدأ بمخاطبتها بازدراء واحتقار كما سبق له ان فعل في مقابلاتهم السابقة. ارتجفت لتذكرها تلك اللقاءات وهي تخلع له حذائه. كان الحذاء من الجلد الأسود اللماع الفاخر. حذاء للمدينة ولا ينفع كثيراً في مكان كتورمور. كان الحذاء رطباً دون شك فتمتمت لندسي: «سأحشوه بالصحف حتى يجف سريعاً وأضعه قرب المدفأة مع انه لن يعود إلى سابق عهده ابداً.»

كانت جواربه مبللة بدورها فخلعتها ووضعتها قرب سترته وقميصه الملطخ بالدماء. كانت تدرك انه لا فائدة من شد الأغطية عليه فيما ثيابه مبللة ورطبة وفيما كانت ترفع قدميه لتضعهما على السرير لاحظت ان بنطاله يقطر دماء بدوره.

«عليك رفع رجليك.» قالت بصوت مقتضب. وحين لم يردها أي رد ولا حتى حشرجة قطبت ورفعت نظرها اليه، لم يعد ممسكاً بالمنشفة على جرحه بل كانت المنشفة ملقاة قربه على الوسادة وكانت عيناه مغمضتين، كان غارقاً بالنوم.

قالت لندسي بحدة وهي تهزه: «استيقظ.»

لم تلق أي تجاوب... ولا حتى رمشة عين... وحينها فقط ادركت انه ليس نائماً بل فاقداً الوعي.

دثرته بالأغطية، ثم جمعت كومة الملابس المبللة إضافة للمنشفة الملطخة بالدماء وكان البرد قد أوقف النزيف الآن.

دخلت المطبخ وهي تشعر بالتوتر والاضطراب، ففي منزلها رجلاً يكرهها... رجل لعله يحتضر وهي عاجزة عن فعل أي شيء له.

عادت إلى غرفة النوم وكانت الرياح والعاصفة في الخارج لاتزال على حالها، ارتعشت. فهذه كانت عاصفة هوجاء لا تضرب تورمور الا فيما ندر، لو لم تكن هنا، لو لم ير غيدوين ستون أضواء منزلها لربما كان سيرى نهايته في ذلك الخندق الذي ذكره سابقاً.

لكن بالطبع لو لم تكن هي هنا لما تواجد بدوره في هذا المكان، حينها لم يكن مضطراً لقياده سيارته إلى تورمور ولما انتهى به المطاف في ذلك الخندق. فهو قد أتى إلى هنا سعياً خلفها، ليعرف ان كانت ستوافق على عرضه.

العرض الهين الذي كادت ان تصفعه على وجهه حين نطق به... لكنها لا تريد التفكير بذلك الآن.

جلست على طرف السرير ورفعت نظرها اليه لتفاجيء بعودة النزيف ثانية، فقد عادت الدماء لتنساب من الجرح العميق في جبينه غاسلة طرف وجهه والوسادة فيما لون بشرة وجهه أبيض شاحب، شعرت لندسي بالذعر واسرعت بإحضار المياه الدافئة واخذت تمسح الجرح ثم احضرت بعض مكعبات الثلج ووضعتها على الجرح أملا بإيقاف

النزيف وهذا لم يحدث الا بعد حوالي عشر دقائق، تنفست الصعداء بعدها رغم جهلها لما قد يحدث لها لاحقاً جراء هذا النزف. لعله لن يستيقظ ثانية أبداً؟

تساءلت لندسي وهي تراقب تنفسه البطيء ولونه الشاحب.

لكن، توقف النزيف كلياً، الآن عليها إشعال مدفأة غرفة النوم ووضع كيس مياه دافئة تحت اقدامه، وبعد ذلك عليها فقط إبقاء النار مشتعلة لمراقبته... والانتظار...

الفصل الرابع

«أين أنا؟»

استيقظت لندسي بذعر لسماعها ذلك، ونهضت عن الكنبة وهي شبه واعية لمعرفة مصدر هذا الصوت. لكن عندما فتحت عينيها واستيقظت كلياً عادت ذكرى كل شيء إليها. إنها في غرفة نومها في تورمور وقد غطت بالنوم على الكنبة المجاورة للسرير... فيما غيدوين ستون يحتل سريرها.

ابعدت خصلات شعرها عن وجهها وأسرعت إلى مفتاح الضوء فأشعلته واقتربت من السرير.

«هل تشعر بتحسن؟»

شعرت بالاضطراب وهي بانتظار تمييزه لها والبدء بالصراخ عليها واهانتها... انتظرت رحيل النعاس من عينيه، ليحل مكانها نظرة الازدراء والغضب العارم...

لكن لدهشتها هذا لم يحدث. عوضاً عن ذلك قطب جبينه ووضع يده على جبينه.

قال: «رأسي...» وأخذ يتحسس مكان الجرح ببطء أدركت لندسي أن مجرد لمسه للجرح يؤلمه، فيما تابع: «ما... ما الذي يحدث؟»

حاول النهوض لكنه لم يستطع: «وكأن رأسي موجود في خلاّط كهربائي... ومن الواضح أنه يبدو كذلك أيضاً.»

قال ذلك ممازحاً، لكن كان ارتباكه واضحاً وكأنه لا يذكر

www.elromancia.com

بعد ما الذي حدث له. نظر إليها ورمش عينيه الزرقاوين فانتفض قلب لندسي بخوف هل هذا ممكن...؟

«أنت... لا تذكر ما حدث لك؟» همست بصوت لاهث بانتظار رده الحاسم.

«ليس فقط أن لا فكرة لدي اطلاقاً عما حدث لي لكني أيضاً أجهل تماماً أين أنا... أذكر أنني كنت أقود سيارة ما... أينما كان هذا المكان و...» صمت قليلاً واعتلى الشحوب وجهه وهو ينظر إليها: «آسف... لكن لا فكرة لدي اطلاقاً عمن تكونين.»

«لا... تعرف؟» قالت وهي تحدق به بعدم تصديق. هل ما يقوله صحيح حقاً... أم أنها خدعة يبتكرها للايقاع بها، للنيل منها، لمعاقبتها؟

«بالطبع لست جاداً...»

قال مبتسماً: «سيدتي... لم أكن بهذه الجدية أبداً من قبل. أنت غريبة كلياً عني. وإذا كان يصعب عليك تصديق ذلك فاسمعي هذا! أنا لا أجهل هويتك فقط... بل أنني لا أعرف من أنا. لا أعرف اسمي، لا أعرف من أين أتيت ولا أعرف ماذا أفعل هنا. عقلي صفحة بيضاء.»

شعرت لندسي بدوار وبدأت ساقاها بالارتجاف وسارت لتجلس على حافة السرير الآخر.

رددت بذهول: «عقلك... صفحة بيضاء؟ أنت... لا تذكر شيئاً؟»

«لا أذكر شيئاً اطلاقاً.» قال بصوت مرتبك غاضب، يمازجه عدم الصبر والاحباط والذعر أيضاً.

مجدداً حاول النهوض للاتكاء على يده ونجح بذلك هذه المرة رغم الألم الشديد الذي ظهر على قسمات وجهه.

قالت: «دعني أساعدك.» هرعت إلى خزانتها وأحضرت المزيد من الوسائد ووضعتها تحت رأس غيدوين.

«استلق الآن فهذا سيكون أكثر راحة لك.»

للحظة اعتقدته سيرفض اقتراحها لكنه أطاع متنهداً وأسند رأسه وكتفاه على الوسائد.

«شكراً.»

«أترغب بفنجان شاي؟»

«ما أرغب به هو اطلاعك لي على...»

قاطعته لندسي: «أجل. أجل سأطلعك على ما حدث وكيف وصلت إلى هنا، على الأقل سأطلعك على ما أعرف. لكني سأحضر الشاي أولاً. من المفترض أن الشاي الساخن يفيد في الصدمات.»

ترددت قليلاً قبل أن تتابع: «أترغب... بالاستحمام، فيما أعد أنا الشاي؟ أتعتقد أنك قادر على ذلك؟ إنه الباب الثاني بعد هذه الغرفة.»

أبعد الأغطية عنه وقال: «سأتدبر أمري.»

لم تستدر لتنظر إليه بل سارت إلى المطبخ وأغلقت الباب خلفها.

ستحضر الشاي وبعض التوست المحمص وبعودتها سيكون قد أنهى استحمامه وعاد للغرفة دون شك. وحينها سيتكلمان. عليها بهذه الأثناء التفكير بالمقدار الذي ستخبره به. لا شك لديها الآن انه فقد ذاكرته فعلاً. لعله فقدان ذاكرة مؤقت، فهي تعرف مما قرأته ان هذا يحصل أثناء حوادث السير خاصة التي يتعرض فيها المصاب لضربة في الرأس.

www.elromancia.com

على الأقل هي المسيطرة على الوضع حتى الآن. لتأمل فقط أن يستمر فقدانه لذاكرته لحين ايصالها له إلى أقرب مستشفى. الشيء الوحيد الذي ترغب بتحاشيه الآن هو مهاجمته لها واتهامه إياها بأشياء هي بريئة منها وعاجزة عن الدفاع عن نفسها بشأنها.

كان يورغ نائماً واستيقظ فور اشعالها ضوء المطبخ وأخذ يهز ذيله بحماس.

«ترغب بالخروج، أليس كذلك؟» تمتمت بابتسام وسارعت لفتح باب المطبخ الخلفي له. ذهلت حين وجدت الثلج كثيفاً لهذه الدرجة ويكاد يسد نصف المدخل. لكن هذا لم يمنع يورغ الذي انطلق بسعادة للخارج دافعا بعض الثلج إلى داخل المطبخ. أدركت لندسي بتوتر ان العاصفة الثلجية كانت أكبر وأقوى مما تصورت. لا بد أن الثلوج هطلت طيلة الليل فيما كانت تراقب غيدوين وأيضاً حين غفت في ساعات الصباح الأولى.

هطل الثلج بصمت وغطى الأرض وقطع الطريق المؤدي إلى بيتها وهذا يعني الانعزال التام الذي حدثتها عنه ماريا لكنها ليست وحدها الآن بل مع... غيدوين ستون. والحرارة منخفضة بشدة في صباح الشتاء هذا مما يلغي أي أمل بذوبان الثلج، ليس اليوم على الأقل.

تسارعت تبضات قلبها، فها هي محتجزة هنا مع عدوها ولا من سبيل أمامها سوى الهروب أو القتال. وبهذه الظروف، الهرب مستحيل، فحتى لو كان لديها مزلاجين وهذا غير صحيح فما كانت لتترك رجلاً مصاباً وحده للاعتناء بنفسه. خيارها الوحيد هو القتال. وهذا ما يتوجب عليها القيام به.

«حسناً، تناولنا شاي الصباح وانتهينا، فهلا أخبرتني الآن ما سبب وجودي هنا؟»

أبعدت لندسي صينية الشاي التي لم يمس غيدوين التوست الموجود عليها قائلاً إنه يشعر بدوار ولا رغبة لديه لتناول شيء باستثناء الشراب الساخن وإنه من الأفضل له الانتظار قبل تناول أي طعام.

سألته: «ما الذي تذكره تحديداً؟»

«لا أذكر شيئاً قبل ارتطام سيارتي بجذع شجرة ما وسقوطها في خندق ما.»

«سيارتك؟»

«إنها من نوع جاغوار وكنت أقود بسرعة كما يبدو فقد انحرفت السيارة بشدة جراء ارتطامها بشيء ما، الارجح أنه جذع شجرة ضخم، فسقطت في خندق على طرف الشارع. علمت حينها أن لا فائدة من محاولة اخراج السيارة من الخندق نظراً لحاجتي إلى رافعة للقيام بذلك، وأنا شخصياً كنت أشعر بالدوار والغثيان ولا يمكنني القيادة أصلاً وأنا بهذه الحالة. كان الثلج يهطل بغزارة، وبدأت بالسير أملا بمرور أحد ليقلني معه، لكن لم تمر مطلق سيارة. من يعلم كم سرت على غير هدى على طول الطريق إلى أن رأيت من البعيد ضوء منزلك قبل الغروب عند أعلى التلة... لكني حينها أدركت وجوب حصولي على مساعدة ما فأنا كنت على وشك الاغماء. ففكرت أن بإمكاني استخدام هاتفك لطلب رافعة.» هز رأسه وتأوه بألم جراء حركته هذه وتابع: «بإمكاننا الاتصال لطلب رافعة الآن أو لربما شاحنة سحب... أو فور أن يفتح أول مرآب قريب لتصليح

السيارات، على فكرة كم يبعد أقرب مرآب تصليح سيارات؟»

«حوالي خمسة عشر ميلا... أو لربما ألف وخمسمائة ميل فلا رافعة ستتمكن من الوصول إلى هنا اليوم. هطلت الثلوج طيلة الليل أخشى أنك عالق هنا... على الأقل حتى الغد ولربما لأكثر من ذلك.»

استلقى ثانية على الوسائد، أغمض عينيه لبرهة وسمعته يتمتم: «لا يعقل أن هذا يحدث.»

حين فتح عينيه أخيراً سأل بلهفة: «من أنا؟ أتعرفين من أكون؟»

«أنت غريب عن تورمور.» قالت وهي تشعر بالراحة لصدق ما تقوله.

«تورمور؟»

«أنت في اسكتلندا في مقاطعة موراي وأقرب مدينة الينا إلجين وهناك أيضاً قرية إفرنس أما فيما يتعلق بمن تكون...»

كانت أفكار لندسي في دوامة الآن، فهي توقعت عودة ذاكرته إليه بعد الاستيقاظ والاستحمام، لكن من الواضح أن شيئاً من ذلك لم يحدث. كانت بانتظار لسانه السليط ونظراته المزدرية لكن ذلك لم يحصل. أدركت الآن أنه اثناء صراعه مع نفسه لاسترجاع ذاكرته سيخطر بباله دون شك محفظته التي تحوي هويته ورخصة قيادته وسيسألها عنها دون شك. وحينها هل ستعود ذاكرته إليه بالنظر إلى اسمه المذكور بداخلها؟

عضت لندسي على شفتها. هو كان فاقداً الوعي حين سقطت المحفظة من بنطاله وكان كذلك أيضاً حين تناولتها

ووضعتها في درج الخزانة حفاظاً عليها. حين يسألها البحث عنها عاجلاً أو آجلاً... هل سيكون من الخطأ نكران وجودها له، الادعاء أنها لم ترها وأنها سقطت على الارجح منه اثناء سيره؟

«محفظتي!» شق صوت غيدوين أفكارها: «ألا يفترض بها أن تكون في جيب بنطالي؟ أتمانعين بالبحث عنها هناك؟»

ماذا ستفعل الآن؟

لكن رغم تردد لندسي عاد إليها صوت والدتها التي كانت تنصحها بالصدق دوماً وبالابتعاد عن الكذب الذي يؤدي بالانسان إلى التهلكة. تلك كانت النصيحة التي نشأت لندسي عليها والواجب عليها العمل بموجبها حتى في أحلك المواقف. سعلت قليلاً واتجهت إلى درج الخزانة متناولة منه المحفظة وأعطتها لغيدوين.

«لقد سقطت من جيبك أثناء خلعك لبنطالك. قد تجد الاجابات هنا.»

تناولها منها ببطء وعيناه مركزتان عليها لا على المحفظة.

«أنت لم تبحثي فيها...؟»

«لا.»

ابتسم قائلاً: «كانت معظم النساء لتفعل ذلك. ذاكرتي لا تخونني بهذه النقطة بالذات على الأقل.» نهض متكئاً على ذراعه متابعاً: «والآن لنرى من أكون.»

اضطربت أعصاب لندسي وهو يسحب رخصة قيادته ويحدق بالمعلومات المطبوعة على الكمبيوتر. هل ستحرك

هذه المعلومات ذاكرته وتعيدها إليه؟ غيدوين فروبشر ستون ردد الاسم وكأنه يتمرن على لغة أجنبية: «فيللا ستونثورب، مورسدن، ساسكس. واستنتج من تاريخ مولدي أن عمري خمس وثلاثون.» رفع نظره إليها ثانية وهذه المرة لاح ظل ساخر داخل عينيه: «عرفت أنني انكليزي دون شك.»

«أجل.» ردت بنظرة ثابتة: «فأنت لا تملك اللكنة الاسكتلندية.»

«بعكسك أنت التي تتكلمين بلكنة أهالي الجبال. الارجح أنه لم يسبق لك مغادرة تورمور يا آنسة...»

قطع كلامه ناظراً إلى يديها وتابع: «لا خاتم زواج... لست متزوجة؟»

«لا.»

«واسمك؟»

ترددت لندسي للحظة فقط مدركة أن عدم تحريك اسمه ذاته لذاكرته يعني أن اسمها لن يفعل أيضاً.

«لندسي بالفور.»

«سررت بالتعرف اليك آنسة لندسي بالفور.» ومد لها يده مصافحاً.

لم تمد لندسي له يدها على الفور. فشيء ما في داخلها أخبرها أن هذا احتيالا وخداعاً للفتة الصداقة هذه، فلو لا تعرض غيدوين ستون لفقدان الذاكرة لما حلمت يوما بأن يمد لها يد الصداقة هذه. لكن مع مرور اللحظات ويده ممدودة لاحظت ظهور الاضطراب داخل عينيه وأدركت أنها للحفاظ على هدوئه وعدم زرع الشك لديه عليها التصرف بشكل عادي جداً.

«سيد ستون.»

ابتسمت وهي تصافحه وتجاهد لاخفاء ارتباكها وتوترها.

قال: «تبعا لهذه الظروف اقترح أن ينادي أحدنا الآخر باسمه الأول، اتوافقيني الرأي؟»

«حسناً.»

بدا غير مستعجلاً لافلات يدها. فقالت بسرعة مبتعدة عنه: «لقد أوقعت مفاتيحك أيضاً.»

تناولت المفاتيح من جيب تنورتها ووضعتها فوق غطاء السرير. وضع رخصة القيادة جانباً ثم تناول المفاتيح وتفحصها.

«لا أبلة هنا، هذا المفتاح كما أظن هو الباب الأمامي... لفيللا ستونثورب. وهذان مفتاحا سيارة على الارجح، وهذا الأخير... لربما مفتاح مكتبي؟»

رمى المفاتيح ونظر إلى باطن وظاهر يديه قبل أن يتابع: «لا يوجد أي خدوش أو جروح، واضح أنني ليس مزارعاً أو جنائياً. لكن بشرتي ملوحة من الشمس لعلي أزاول عملا ما تحت أشعة الشمس.»

«أو لعلك تقضي الصيف بالاستلقاء على شواطىء اليونان أو الجزر الاستوائية.»

تقلصت عيناه وحدق بها للحظة: «ربما.» تناول مجدداً محفظته وبدأ يعبث بمحتوياتها من بطاقات الاعتماد وبطاقات العمل وأخذ يردد الاسماء المذكورة فيها، وحين انتهى من ذلك أعادها إلى مكانها متمتماً: «لا أبلة هنا. لكن من الواضح أنني ثري.»

www.elromancia.com

كان كأنه يتحدث إلى نفسه وبعد ذلك انتقل إلى الجيب الداخلي للمحفظة.

«بطاقة عضوية لنادي بروكمان لرجال الأعمال، بطاقة عضوية لنادي مارسدن للسكواش، بطاقة عضوية لأوبرا أوكدين، نادي باركنسون، نادي مارسدن للغولف.»

التمعت عيناه بدهشة وهو ينظر إلى لندسي: «لا بد أن غيدوين ستون هذا رجل كثير الأشغال... اجتماعياً وعلى كل صعيد. لكن أين يعمل؟»

ابتسمت لندسي دون أن تتفوه بكلمة.

«سنعرف ذلك قريباً، أين هاتفك؟ ارغب باجراء بعض المكالمات.» حاول النزول عن السرير لكنه صاح فجأة بألم.

سألت بلهفة: «ما الأمر؟»

«كاحلي، لا بد أنه التوى ليلة البارحة. اذكر انزلاقي اثناء خروجي من السيارة، لا بد أنه التوى حينها.»

«لكنك... تسلقت التلة...»

«كنت في حالة صدمة.» أجاب بحنق وهو ينظر إلى كاحله ثم تابع: «وكانت قدمي خدرة من شدة البرد. على الأرجح أنني لم أكن أشعر بها اطلاقاً.»

لم يكن الكاحل خدراً الآن، أدركت لندسي ذلك من تعبير الألم الذي ظهر بوضوح على قسمات وجهه. وشعرت بالحذر لرؤيتها احمرار الكاحل وتورمه.

قالت: «لنعيدك إلى السرير. علينا القيام بشيء ما بهذا الخصوص.»

كما فعلت الليلة الماضية ساعدته بالعودة إلى السرير

وبوضع قدميه ثانية عليه. فاستلقى وهو يصر على اسنانه من شدة الألم.

لمست لندسي الكاحل المتورم برقة ووجدت حرارته مرتفعة.

قال وهو يستلقي على الوسائد: «انني أعرضك للكثير من المتاعب. دون ذكر ازعاجي لهدوء حياتك. ماذا تفعلين في هذا البيت الصغير؟ أتعملين في المنزل أم أنك تعملين في مكان ما بالجوار؟»

تجاهلت لندسي سؤاله قائلة: «انتظر لحظة.»

غادرت الغرفة وبعودتها كانت تحمل كتاباً كبيراً.

«ما هذا؟ هل ستقرأين لي آخر الحقوق؟»

«ليس بعد.» ردت وهي تشعر ببعض الارتياح لسماعها كلماته المرحة: «هذا قاموس طبي.»

بدأت بتقليب صفحاته وتابعت: «أود التأكد من قيامي بما هو صواب. ها نحن... تورم الكاحل يحدث بحال تمزق عضلي أو تمزق الرباط الذي يصل العظام... يكون الألم كبيراً بمثل هذه الحالة...»

«أعرف ذلك تماماً.»

«وبحال اصابة الكاحل فلن تتمكن من السير اطلاقاً أو قد تسير بصعوبة كبرى. مكتوب هنا أن ما قد يبدو تورماً أحياناً قد يكون نتيجة كسر داخلي وعليك وضع كمادات الثلج عليه. لكن بحال كان مجرد تمزق عضلي فالعلاج عبارة عن كمادات دافئة وتدليك خفيف...»

«إنه تمزق عضلي.»

نظرت إليه لندسي بذهول متسائلة: «حقاً؟ ما ادراك؟»

ابتسم مجيباً: «علاج التمزق أخف من علاج الكسر وأحببت كثيراً مقطع التدليك الخفيف...»

لا شك أنه كان يغازلها. رغم شعورها بالسعادة لغزله الرقيق الا أنها كانت تدرك أن غيدوين ستون الحقيقي سيندم على نطقه بهكذا كلمات بعد أن يستعيد ذاكرته. إنه يكرهها ما فيه الكفاية دون اعطائها له سبباً اضافياً لزيادة ذلك الكره. أفضل شيء لها تجاهلها لهذه المجاملة والتصرف كأنها لم تسمع شيئاً.

«آسفة.» ردت بالبساطة التي استطاعتها: «أنا الطبيبة هنا، واعتقد أنه مع كل هذا التورم، من الأفضل رفع القدم عالياً ووضع أكياس الثلج عليها.»

«يصعب احترام طبيباً يعتمد على القاموس الطبي لمعالجة مسألة بسيطة مثل...»

لكنها كانت قد غادرت الغرفة مغلقة الباب خلفها فلم تسمع بقية كلامه... لكنها لم تستطع إلا ملاحظة المرح في نبرته.

كان من الصعب جداً مقارنة غيدوين ستون المستلقي على سريرها الآن مع غيدوين ستون الأصلي الذي هاجمها بوحشية ليلة دخول والده إلى المستشفى. لطالما كان الكساندر يتكلم عن ابنه بحب واحترام واعجاب... لكن في المرات القليلة التي قابلت بها غيدوين كان بارداً وشريراً. وقد تساءلت لربما لم يعرف الكساندر ابنه على حقيقته. وها هي الآن والشك يساورها حيال ذلك، هل هذا هو غيدوين ستون الحقيقي الآن؟ هل كان الشر الذي رأته سابقاً عنده غريباً عن طبيعته، وبدا منه فقط بسبب رغبته بحماية

والدته؟ ما أهمية ذلك؟ سواء أكان الرجل شريراً أم لا، فإن الأمر لا يعنيها. لا شيء كان أوضح من استحالة أن تكون جزء من حياته والأفضل ألا يكون هناك أي علاقة ومن أي نوع بينهما.

فتحت باب المطبخ الخلفي لتسمح ليورغ المبلل بالثلج بالدخول. نفض يورغ نفسه داخل المطبخ الدافيء مرسلاً الرذاذ البارد حوله قبل أن يبدأ بالدوران حول سيدته بسعادة طلبا للطعام.

قالت وهي تربت على ظهره: «خذ، هذا سيكفيك لوقت طويل.»

ثم بعد أن وضعت الطعام ليورغ تناولت بعض مكعبات الثلج من الثلاجة ووضعتها داخل أكياس بلاستيكية صغيرة مخصصة لهذه الغاية.

فور انتهائها ادارت المذياع لسماع نشرة الصباح بعناوينها التالية: «اجتاحت عاصفة ثلجية هوجاء الجنوب ليلة أمس مخلفة كثافة ثلجية بمقدار عشرة أقدام في بعض الاماكن. وكانت المناطق الأكثر تعرضاً للعاصفة سبايساید وتورغلن حيث قطعت هناك كل الطرق الرئيسية كما وأغلقت كل المدارس في موراي وايفرنس.

تنصح الشرطة المواطنين بملازمة منازلهم نظراً للأحوال الجوية السيئة ولإمكانية الانزلاق. وقد تسبب سوء الرؤية في كثير من المناطق آنفة الذكر بحوادث سير بعضها مروع. فقد اصطدمت سيارتان على طريق إلبين وتم نقل السائقين إلى المستشفى بحال الخطر. وتم نقل امرأة عجوز في ايفرنس إلى المستشفى للعلاج جراء صدم

شاحنة لها فيما كانت تنزه كلبها. لا تزال المرأة في حالة غيبوبة حتى الآن...»

أقفلت لندسي المذياع عند هذا الحد وقد زاد ما سمعته من انزعاجها. فالبقاء في بيت تورمور وفق ارادتها شيء والاحتجاز في هذا المكان بسبب الأحوال الجوية التي عزلت البيت كلياً شيء آخر. وحقيقة وجود زائر مصاب غير مرحب به وغير مدعو لم يساعد في تخفيف انزعاجها بدوره.

كان غيدوين نائماً حين دخلت الغرفة ثانية حاملة أكياس الثلج الصغيرة لكن فور اغلاقها للباب خلفها وجدته يفتح عينيه.

تمتم بصوت هادىء: «كنت أفكر متسائلاً حول دافع غيدوين ستون بالمجيء إلى اسكتلندا. أكان قادماً بدافع العمل؟ أم لأجل رؤية بعض الأصدقاء؟ ألديك أدنى فكرة عن ذلك؟» سألها متابعاً: «لماذا يأتي الناس إلى... ماذا قلت اسم هذه المنطقة؟»

تناولت لندسي وسادة أخرى من الخزانة وسارت إلى السرير.

قالت بثبات: «عذراً.» وهي ترفع الغطاء عن قدميه وترفع القدم المصابة واضعة الوسادة تحتها.

«اسمها تورمور. هذا هو اسم المقاطعة في موراي كما وأنه اسم هذا البيت ذاته. أما فيما يخص سؤالك لماذا يأتي الناس إلى هنا...» تابعت وهي تضع مكعبات الثلج على كاحله المتورم: «يأتينا الكثير من السواح في الصيف وفي الشتاء يأتي بعض المستثمرين لاعداد

حلبات التزلج للسياح الراغبين بالتزلج على المنحدرات.»

قال مفكراً: «لم يكن من ادوات تزلج في سيارتي وأنا واثق من ذلك. ولو كنت أعيش في هذه المنطقة لكنت عرفتني دون شك. تورمور من نوعية الامكنة التي يعرف فيها السكان بعضهم بعضاً، أليس كذلك؟»

تجاهلت لندسي سؤاله الأول وركزت على الثاني.

«ليس بعد الآن. لربما كان هذا صحيحاً قبل بضع سنوات حيث كان الجميع مقربون ويعرفون بعضهم، لكن الاوضاع مختلفة الآن. تغيرت ملكية العديد من المزارع والاراضي... وتم شراء العديد من الاكواخ والمطاعم من قبل اشخاص من الشمال من منطقة لندن. اشخاص باعوا ممتلكاتهم والاسعار مرتفعة، ثم تقاعدوا هنا أو بدأوا أعمالاً جديدة في الجوار.»

«أخبريني.» قال وهو يحدق بها: «أخبريني شيئاً عن نفسك. ما الذي تفعله فتاة شابة مثلك في هذا البيت الصغير المنعزل على التلال؟ أنت هنا وحدك أليس كذلك؟»

«أجل.» ردت وهي تركز على معالجة جرحه: «هذا منزلي تركته والدتي لي. إنه ملك عائلتي منذ أجيال.»

«متى ماتت والدتك؟»

«قبل سنتين تقريباً.»

«وبقيت وحدك هنا منذ ذلك الحين؟» سأل وعيناه تعكسان دهشته.

لا تستطيع الكذب... لكن بإمكانها تحاشي البوح بكل الحقيقة.

فقالت: «أحب المكان هنا. إن رأيته في الصيف لعرفت السبب. وهو رائع أيضاً في الربيع والخريف وحتى في الشتاء.» وأضافت بكآبة: «مع أنك لن تجده كذلك اليوم.»

«وأين تعملين؟»

كان السؤال طبيعياً وامتد الصمت بينهما فيما ينتظر جوابها.

تشاغلت بتصحيح وضع الوسادة تحت قدمه قبل أن تبتعد عن السرير.

قالت: «يبدو أننا محتجزان هنا لبعض الوقت معا. عما سنتحدث طيلة هذا الوقت إن قلنا كل شيء الآن؟»

كانت على وشك على مغادرة الغرفة شاعرة بتركيز نظره عليها، على شعرها الأسود الطويل وتنورتها الرمادية الطويلة.

وتابعت: «سأترك مكعبات الثلج مكانها حتى أصنع بعض القهوة. أيمكنك تناول شيئاً من الطعام الآن؟» واستدارت نحوه قبل أن تغلق الباب خلفها واحمرت وجنتاها لتأكدها من أنه كان فعلاً يحدق بها وباعجاب واضح.

«أجل.» رد بتكاسل مقصود: «بإمكاني تناول بعض الطعام الآن. فقد عادت لي شهيتي لا أعرف كيف. لا أعرف متى شعرت بمثل هذا الجوع من قبل.»

تسارعت نبضات قلبها واحمرت وجنتاها بارتباك.

من الواضح أنه يشعر بالانجذاب نحوها بدوره. لكن عليها مقاومة مشاعرها. أما هو فلن يرى داع لمقاومة

مشاعره... لماذا يفعل؟ فهو رجل ناضج وبإمكانه أن يجذب أية امرأة بتلك الابتسامة الرائعة، وذاك الصوت العميق.

«هذه اشارة جيدة، كلما استعدت قواك بسرعة كلما تمكنت من المغادرة بسرعة.»

www.elromancia.com

الفصل الخامس

احتسى غيدوين القهوة وتناول البيضة المسلوقة التي احضرتها له لندسي قبل ان يقول: «سأنهض الآن يا لندسي لإجراء بعض المكالمات الهاتفية، ألديك عصا أو شيء ما استعمله كعصا؟»

«سأساعدك.» قالت ذلك آملة بعدم عكس نبرتها لتلهفها: «بإمكانك الاستناد عليّ... كما فعلت الليلة الماضية.»

أجابها: «لا، ولا اريد الاعتماد عليك كلما اردت القيام بأية حركة.»

«افهم ذلك، سأرى ما بإمكاني إيجاده.»

وجدت عصا خشبية قديمة للرعاة في خزانة المطبخ فأحضرتها له.

«كانت هذه لجدي... كان يرعى بعض الأغنام في أعلى الجبل، وقد باعت والدتي القطيع بعد وفاته.»

ازاح الأغطية، فقالت دون ان تنظر إليه: «لقد جفّ قميصك، انه معلق أعلى المدفأة، هل أحضره لك؟»

نزل عن السرير متكئاً على العصا وخطا خطوتين قبل ان تعاود النظر إلى وجهه، فشهقت حين رأته أزرق اللون فقالت بذعر: «هل تشعر برغبة بالتقيوء؟»

لم يجبها وبقوة اذهلتها اكمل سيره ودخل المرحاض مغلقاً الباب خلفه، وادركت انه فعلاً كان يتقيأ بالدخل.

اصطكت ركبتاها فجأة وجلست على طرف السرير وقد

تحركت داخلها كل مشاعر الأمومة، ورغبت بشدة ان تهرع اليه لتساعده، وتخفف عنه...

لكنه لم يكن طفلاً بل كان رجلاً معتداً بنفسه، لكن حين يخرج من المرحاض سيكون ضعيفاً وبحاجة لمساعدتها.

نهضت عن السرير بعد عشر دقائق حين سمعت صوت الباب يفتح ويعود إلى الغرفة، فسارعت لوضع ذراعها حول وسطه لمساعدته على السير فلم يبد أي اعتراض.

قال: «على المكالمات الهاتفية الانتظار الآن. فالأفضل لي الاستلقاء ثانية الآن، وقد انام قليلاً...»

غط بالنوم فعلاً، وظل نائماً طيلة الصباح وحتى وقت العشاء، لم يستيقظ الا حوالي الثامنة مساء كان الظلام قد حل. كانت لندسي جالسة على كنبة غرفة النوم فقد قضت معظم الليلة السابقة دون نوم ولا شك انها استغرقت بالنوم بسبب ذلك لأنه حين سمعت صوتاً رمشت بعينيها ورفعت نظرها لتجد غيدوين يدخل الغرفة. بدا أحسن حالاً، فلم يعد وجهه شاحباً ومن الواضح انه اكثر نشاطاً الآن.

قال وهو يقف في وسط الغرفة: «آسف، حاولت عدم إصدار اي ضجة كي لا اوقظك، على فكرة وجدت فرشاة اسنان غير مستعملة في حمامك، ارجو انك لا تمانعين باستخدامي لها.»

سقطت الرواية التي كانت على حضنها فاستغلت هذه الفرصة للانحناء والابتعاد عن وطأة نظره كي لا يكتشف احمرار خديها جراء رؤيتها له. لم ترغب بمعرفته لتأثير وجود رجل بمثل وسامته في منزلها وهذا شيء لم تعتد عليه اصلاً، فما بالك ان كان هذا الرجل غيدوين ستون بالذات. شعرت وكأنها فتاة مراهقة، لكن شعورها هذا لا

مبرر له فهي لم تعد مراهقة بعد الآن والرجل الواقف امامها هو غيدوين ستون الذي يكرهها ويريد الانتقام منها.

تنفست الصعداء لرؤية غيدوين مشغولاً بالنظر إلى الكتب والتحف الموجودة على رف الخزانة، تناول كتاب مرتفعات ونرنغ الخاص بها وسمعته يردد: «الصف الخامس، الجائزة الأولى.»

«هدية للندسي آيلن بالفور لتفوقها الدراسي.»

«آيلن.» تمتم مردداً الاسم بشكل خاطىء كما يفعل معظم الناس فصححته له لندسي فوراً.

«انه آشلن.»

«آشلن؟» ردد ونظر اليها: «اجل، هذا اسم جميل.»

«انه اسم ايرلندي.»

«اتعرفين معناه؟»

«الحلم.»

«هذا مناسب جداً ويعجبني، آشلن... حلم جبلي.» هز رأسه متابعاً: «كل شيء يبدو كالحلم ويذكرني بفيلم شاهدته قبل سنوات عن امريكي يتعثر...»

قاطعته لندسي مبتسمة: «فيلم بريغادون. اذكر مشاهدتي له وأنا صغيرة، اصطحبتني والدتي إلى ايفرنس لقضاء اليوم وشاهدنا الفيلم.»

اعاد الجائزة الى مكانها: «والدتك... ظلت حية بعد وفاة والدك؟»

اجفلت لندسي، فلم يسبق لها ان ذكرت شيئاً عن والدها امام غيدوين فما الذي دفعه للاعتقاد ان والدها متوفي؟ لا بد انه رأى الاضطراب في عينيها لأنه تابع بهدوء:

«اخبرتني ان والدتك تركت لك هذا المكان بعد وفاتها وذلك قبل سنتين، فافترضت انها كانت أرملة حين توفت.»

وجدت لندسي نفسها تقول: «زواج والدي كان سراً.» حتى انها ضحكت قبل ان تتابع: «كانت تلك فضيحة هزت لها اركان تورمور، فهذا الأمر لم يكن مقبولاً آنذاك كما هو الآن، اي ان تحمل امرأة متزوجة سراً وان تلد الطفل وتربيه وحدها.»

«من الذي لم يتقبل هذا الأمر؟ جداك لوالدتك؟»

«لا، فقد توفيا قبل سنة من ولادتي.» تابعت لندسي وكأنها تخاطب نفسها وليس الرجل الواقف امامها ويراقبها: «في الواقع لو ظلا على قيد الحياة لما تورطت والدتي أصلاً بالزواج من ذاك الغريب كما حدث، فقد قابلها بوقت كانت محطمة الفؤاد جراء موت والديها المفاجيء... وحدث ذلك بعد ايام قليلة من موتهما.»

طقطقت الأخشاب في المدفأة، فأعاد الصوت لندسي إلى الواقع وسحبها من غرقها البسيط هذا في الماضي. فنهضت عن الكنبة ووضعت الرواية جانباً.

«لا بد انك مستعد للعشاء.»

مرّت فترة صمت قبل ان يجيبها وكأنما كان مستمتعاً بما تسرده عن والدتها ويرغب بسماع المزيد عن هذا الموضوع، لكنه في النهاية قرر الا يفعل.

«هل تناولت الطعام؟»

«لا، كنت انتظرك. حضرت حساء الدجاج وصينية دجاج بالفرن، ان كانت معدتك قد ارتاحت الآن فأظن هذا الطبق سيهدئها اكثر.» ثم اشارت إلى ثيابه الجافة الآن والموضوعة بترتيب

على الكنبة الأخرى: «بإمكانك ارتداء ملابسك الآن وان رغبت بارتداء شيء آخر فمرحب بك بتجربة أي بلوزة من الدرج الأخير في الخزانة. فوالدتي كانت تجني عيشها من حياكة الكنزات الصوفية وانا لم أشأ التخلص من آخر ما حاكته. لذا جربها ومبروك عليك ما سيناسبك منها.»

لم تعد قادرة على تحمل تعبير التعاطف الصادر من عينيه، لم تعد قادرة على تحمل فكرة وجود الدفء في شخصيته وكذلك الاهتمام، شعرت بهذا يربكها ويعزيها في الوقت ذاته.

لكن... لكن لا يمكنها تقبل تعزيته، فهذا لا يصدر عن غيدوين ستون الحقيقي لأن هذا الرجل امامها لم يكن غيدوين ستون، هذا الرجل غريب، وسيتبخر تعاطفه وكل المشاعر الدافئة التي يحسها نحوها الآن وسيحل محلها الاحتقار والازدراء والكره لحظة عودة ذاكرته إليه. والأمر منوط بها لإبقاء مسافة بينهما.

قال وهو يبتسم: «شكراً لك.»

قالت بحدة لم تتعمدها: «سأعد الطاولة. تعال إلى المطبخ فور انتهائك.»

«شكراً لك.» قالها مجدداً لكنها كانت قد غادرت الغرفة.

• • •

«إذن لا زالت الطرق مقطوعة؟»

«اجل.» ردت وهي تسكب القهوة لنفسها: «في الواقع تساقط المزيد من الثلج بعد الظهر فيما كنت نائماً.»

سيطر الصمت على المطبخ لفترة ما خلال صوت شخير

يورغ اثناء النوم إلى ان قطع غيدوين الصمت قائلاً: «أرغب بإجراء المكالمات الهاتفية الآن.»

هذا ما كانت تخشاه لندسي طيلة فترة العشاء. اتصاله بفيللا ستونثورب ولعل والدته هي من سترد على الهاتف أو لربما احد الخدم ولعل ذاكرته ستعود إليه حينها!

«الهاتف في غرفة الجلوس. سأريك مكانه.»

أمسك عصاه ونهض قائلاً: «سأطلب ان تدفع المكالمة من قبل الطرف الآخر.»

«لا مشكلة بذلك.»

نهضت ونظرت اليه وتمنت لو انه لم يختر هذه الكنزة الصوفية البترولية بالذات، فاللون كان يناسبه تماماً ويظهر مدى زرقة عينيه كما وتظهر الكنزة ضخامة اكتافه وبنيته الرياضية رغم طول قامته. كان رجلاً فاتناً كما سبق وعلقت إحدى الممرضات ولم يكن من السهل على مطلق امرأة عدم الاعتراف بذلك وبمدى تأثير وسامته على من حوله وهي لم تكن مستثناة عن تلك القاعدة.

سواء اكان يعرف مدى تأثيره عليها أم لا، فهو لم يظهر ذلك، فقد تبعها دون النطق بكلمة وعصاه تطرق الأرض مع كل خطوة يخطوها.

اشارت له: «الهاتف هناك تفضل باستخدامه.»

«شكراً.»

عادت لندسي إلى البهو فيما دخل غرفة الجلوس. اغلقت الباب خلفها دون ان تدرك سواء افعلت هذا المنحه الحرية بالتكلم أو كي لا تسمع ما سيقوله، وان لا تسمع تبدل نبرة صوته بحال أعاد صوت المتكلم على الطرف الآخر له ذاكرته المفقودة...

www.elaromancia.com

شغلت نفسها بتنظيف طاولة المطبخ الآن وبوضع الصحون المستعملة في حوض الغسيل. بدأت بغسلها حين سمعت صوت عصاه الدالة على اقترابه من مكانها، تسارعت نبضات قلبها وأجبرت نفسها على التركيز على الجلي، لحظات ولم تستطع تحمل المزيد فتوقفت عن الجلي وكانت تجفف يديها حين وجدته خلفها.

قال: «خطوط الهاتف معطلة لم استطع الاتصال بستونثورب.»

«آه، هذا من حسن حظي.» فكرت بهذا بينها وبين نفسها وقاومت كي لا تظهر ابتسامتها الدالة على مدى ارتياحها لذلك.

جلس غيدوين على احد كراسي طاولة المطبخ وسألها: «كنت ارتدي سترة ليلة البارحة بوصولي إلى هنا، أليس كذلك؟»

«اجل.»

«هل لي بها لو سمحت؟»

خلعت لندسي مئزر الجلي ووضعته جانباً ثم احضرت له سترته.

«كانت مبللة كلياً.»

«هل وجدت شيئاً في جيوبها؟»

نظر اليها بأمل، فأدركت رغبته بإيجاد أي شيء قد يساعده على كشف غموض ماضيه وهويته.

ردت بصدق: «لا اعرف فأنا لم ابحث في جيوبها.» كان للسترة ثلاثة جيوب ولم يسفر بحثه الحثيث عن شيء في الجيبين الخارجيين وحين وصل للجيب الداخلي رأته يخرج منه مغلفاً كبيراً.

«ما هذا؟» تمتم والاحباط واضح في نبرته.

«رسالة.» ردت لندسي وهي تقترب منه.

«اجل، لعلي فقدت الذاكرة يا حلمي الجبلي الجميل، لكني لم افقد ذكائي بعد أو هذا ما آمله على الأقل، اعرف ان هذه رسالة لكن هذا...» ثم تابع مشيراً إلى العنوان المكتوب على المغلف: «هذا لا يعني لي شيئاً.»

نظرت لندسي للعنوان ثم قالت: «تايلور وماكالوم محامون ووكلاء عقارات، شركتهم هنا في موراي وهم معروفون بهذه الانحاء.»

«حسناً لنرى ماذا يوجد فيها...»

«انت لن تفتح الرسالة، أليس كذلك؟» سألت ذلك دون ان تكون واثقة من فتح رسالة غير موجهة لها... أو سبب خوفها المفاجيء هذا. هل لأنها شخصياً كانت خائفة مما قد يجده غيدوين داخل المغلف وما قد يعيد اليه ذاكرته المفقودة؟

«بالطبع سأفعل، من المؤكد تماماً انني من كتب هذه الرسالة، صحيح؟»

فتح المغلف فيما كان يتكلم واخرج الرسالة منه، تحركت لندسي إلى طرف الطاولة الآخر وجلست قبالته كي لا يشعر بتلهفها لمعرفة ما تحويه الرسالة. لكن من الواضح انه لم يكن ينوي إخفاء المحتويات عنها.

«انها من شخص يدعى الكساندر ستون... وهو قريب لي كما اظن.» تمتم دون ان ينظر اليها: «وهي موجهة للسيد تايلور... وهو واحد من المحامين دون شك.»

فيما اطرقت لندسي بأعصاب مشدودة ونفس متقطع، بدأ هو بقراءة محتويات الرسالة بصوت مرتفع.

عزيزي السيد تايلور.

بخصوص مكالمتنا الهاتفية بتاريخ ١٢ من الشهر الجاري اكتب اليك لاعلامك برغبتي في عرض كريغ مور للبيع، تبعاً لإصابتي بنوبة قلبية. فأنا لست قادراً على السفر إلى اسكتلندا في هذا الوقت، لذا اوكلت زوجتي لورا وابننا غيدوين للمجيء اليك ومناقشة البيع بعد تحديد سعر جيد للمنزل، اعرف انه تبعا لوضع المنزل المهمل منذ سنين فإن سعره لن يكون مرتفعاً، لكن الأرض المحيطة به تساوي الكثير دون شك...

«لا بأس اعرف الآن على الأقل انني لست يتيماً.» قال غيدوين مبتسماً: «والداي احياء وعنوانهما هو عنواني ذاته... فيللا ستونثورب.» قطع كلامه ورفع نظره اليها متابعاً: «منزل كريغ مور هذا، اتساءل اين هو؟ انت لا تعرفين المكان لا؟»

«بلى.» ردت لندسي وهي تجاهد لإبقاء صوتها عادياً: «انه يبعد ثلاثة اميال من هنا تقريباً.»

«سبق وشاهدت المكان؟»

«اجل، حين كنت فتية، كنت استكشف كل طرقات البلدة على دراجتي حينها، وعرفت بشأن كريغ مور فهو مكان مهجور منذ سنوات طويلة، تعرف كيف هم المراهقون... ركنت دراجتي عند بوابة كريغ مور يوماً، تسلقت الجدار وقفزت للداخل لاستطلاع المكان.»

«اتساءل لماذا يرغب والدي ببيع المكان الآن؟ واتساءل لماذا ترك عقاراً كهذا قيم ومهم ليصبح طي الإهمال؟ لا اظنك تعرفين الجواب على هذا السؤال.»

من الواضح انه افترض جهلها المؤكد لهكذا جواب نظراً لنطقه الكلمات بنبرة تخلو من التساؤل. وبما انه لم يكن يتوقع رداً فهي لن تعطه واحداً بالتأكيد. فهي لم تكن معتادة على الكذب ولكن بمثل هذا الموقف كانت لترد بغموض عليه في حال أصر على هذه المسألة بالذات.

وتساءلت بفضول عما سيكون رد فعله لو أخبرته ان والده توقف عن المجيء إلى هنا لأن هذا هو المكان الذي أقام فيه مع والدتها بعد زواجهما وان شعوره بالذنب هو الدافع خلف رغبته بالبيع...

قالت بهدوء: «إذن، نعرف الآن سبب مجيئك إلى اسكتلندا، كنت بطريقك لرؤية تايلور وبما ان هذه الشركة بعيدة جداً عن الطريق الذي كنت تسير عليه فلا شك انك وددت القاء نظرة على كريغ مور قبل ذلك.»

«يبدو ان هذا ما حدث فعلاً، لا؟ اتساءل ان كنت قد زرت ذاك المكان من قبل؟ هل سبق لي زيارته وأنا صبي قبل ان تولدي انت؟» داعبت الابتسامة شفتيه وهو يتابع: «اخبريني يا لندسي لو انني وصلت إلى كريغ مور البارحة عوض سلوك هذا الطريق، فماذا كنت لأجد هناك؟»

«كنت لتجد انه كان بالسابق منزلاً ريفياً رائع الجمال بقرميده الأحمر واحجاره البيضاء النافرة لكن الاعشاب البرية تخنقه الآن.» ووجدت نفسها تتابع رغماً عنها نظراً لحبها لذاك المكان: «أتمنى ان من يشتريه سيعيد اليه البريق مثل الماضي، والا يفسده بتغيير تصميمه أو ما شابه أو ان يحوله إلى فندق ما أو ان يهدمه ليبني منزلاً حديثاً بشع المنظر مكانه، أتمنى ان يعمل من يشتريه على إصلاحه...

فببعض الاهتمام والحب قد يستعيد كريغ مور روعته القديمة وجماله المميز.»

ادركت فجأة مدى عمق تأثر نبرتها فتابعت بصوت عادي: «لكنك ستراه بنفسك فور ذوبان الثلج.»

«ذوبان الثلج.» ردد ونهض متجهاً إلى النافذة ونظر عبرها بعد ان أزاح الستارة: «لا يسعني رؤية أي شيء مع ان الثلج قد توقف عن التساقط الآن.» تنهد ثم عاد إلى الطاولة واتكأ عليها ليتابع وهو يحدق بلندسي: «هل شاهدت نشرة الأخبار التلفزيونية؟ هل ذكروا شيئاً في نشرة الارصاد الجوية؟»

«لا املك تلفزيوناً لكني استمعت لنشرة الراديو. قالوا بنشرة السادسة انهم لا يتوقعون تساقط المزيد من الثلج لكن بسبب تدني درجات الحرارة لا يسعنا توقع ذوبان الثلج سريعاً... ليس قبل يوم أو اثنين.»

«ماذا عن جرافات إزالة الثلج؟»

«تورمور بعيدة عن البلدة ولن تصل الجرافات اليها الا بعد إزالة الثلج عن كل الطرقات الرئيسية في البلدة وهذا يستغرق وقتاً كما تعلم.»

سألها: «من المسؤول عن إزالة الثلج عن الطريق المؤدي إلى منزلك؟»

«هذه مسؤوليتي أنا، لكن فور تنظيف الطرق الرئيسية سيتمكن بوب من تنظيف طريقي. فبوب مزارع صديق يعتبرني وزوجته بمثابة ابنته، فهو عادة يرسل لي احد عماله وجرافة صغيرة لإزالة الثلج.»

«لا تمانعين بالعيش هنا وحدك؟»

«لا، فأنا أحب ذلك.»

«ما الذي تفعلينه يا لندسي بالفور باستثناء الاهتمام بالمسافرين المصابين؟»

كانت تتوقع سؤاله هذا وقد اعدت له رداً مناسباً أملت ان يكتفي به وان يمنعه من طرح المزيد من الاسئلة حول عملها.

أجابت: «أنا سكرتيرة مجازة وحالياً ابحث عن عمل. فقد استقلت من شركتي القديمة قبل بضعة ايام فقط.» لم يتابع الاستفسار بهذا الشأن وادركت لندسي انه يجد فرص ايجاد العمل بمثل هكذا منطقة نائية ضربة حظ موفقة لمن يتمكن من العمل.

عاد للجلوس على كرسيه وقال: «أتمنى لو اعرف مجال عملي أنا، أهو في مجال الخياطة، الجندية البحرية...»

«الأرجح انك تعمل في المدينة.» قالت بغموض وهي تتساءل عما سيفكر به ان اخبرته انه ابن أحد أثرى الأثرياء في بريطانيا وانه يجني ماله من بناء مراكز تجارية ضخمة! هل ستتغير نظرته اليها عندئذ؟ وهل سيظل هذا الدفء الظاهر داخل عينيه وهو ينظر اليها مكانه بحال عرف؟ الن يعتبر حينها ان فتاة جبلية بسيطة مثلها لا تستحق اهتمامه؟

اقترحت: «اظن عليك العودة إلى السرير. فالأفضل لك عدم التمادي في إرهاق نفسك، فوضعك البارحة كان مما لا تحسد عليه.»

أجابها: «انا بخير، سأجلس قليلاً بعد، فأنا لا اشعر بالتعب إطلاقاً، لقد قضيت النهار بأكمله نائماً. وهذا يذكرني بشيء خطر ببالي سابقاً... تلك غرفة نومك التي تنامين فيها أليس كذلك؟ آسف لإجبارك على مغادرتها.»

قاطعته وقالت بصدق: «لا يهم مكان نومك، فأينما نمت سأبقى ساهرة قربك كي أتأكد من تحسن حالتك. بإمكانك استخدام ذلك السرير طالما انت هنا، فلا فائدة من تغيير مكانك الآن.»

اومأ برأسه وأجاب: «لا يا لندسي، اشعر بالخطأ الكبير حالياً نظراً لإزعاجي لك وإفسادي لطبيعة حياتك ولربما التسبب لك بصدمة في حياتك بظهوري على بابك ليلة البارحة والدماء تغسل وجهي. أرجوك دعيني انام في واحدة من غرف النوم الأخرى.»

قهقهت لندسي رغماً عنها.

قال وعيناه تتقلصان: «هل قلت طرفة؟»

«آسفة. هذا ليس ستونثورب يا غيدوين، فليس لدي الا غرفة نوم واحدة.»

«لكن... ألم تعيشي مع والديك هنا؟»

«كنا نتشارك غرفة النوم ذاتها.»

من الواضح ان غيدوين كان متفاجئاً ولم تنجح محاولاته لإخفاء دهشته.

سألته لندسي بضحكة: «ليس هذا بنمط عيش الارستقراطيين والاثرياء أليس كذلك؟ اظن بالنسبة لشخص مثلك يتحدر من عائلة تملك منازل اكثر مما ملكه كل آل بالفور من غرف نوم، هذا أمر يثير الدهشة؟»

ابتسم بدوره واجاب: «حسناً استرسلي بنكاتك على حسابي، لكن هذا لن يغير ما سبق وقلته... ستنامين في غرفة نومك الليلة وأنا سأنام في غرفة الجلوس.»

«أخش ان هذا لن يحدث. لعلك لم تلاحظ ذلك وانت تتكلم

على الهاتف لكن في الحقيقة لا املك كنبة كبيرة في غرفة الجلوس. فهي غرفة صغيرة ولا تتسع الا للكنبات الصغيرة وأيضاً غرفة الجلوس باردة جداً ولمن هم بمثل وضعك، البقاء دافئاً اساسي للشفاء... ولا استطيع إشعال النار بمدفأة غرفة الجلوس لأن العصافير تعيش فيها هذا الربيع. ولم يتسن لي الوقت لتنظيفها.»

سألها بجفاف: «ماذا تقترحين إذن؟ ان نتشارك غرفة النوم؟»

«اجل.» ردت بصوت جعلته هادئاً: «سأضع فاصلاً ما بين السريرين كي يحظى كل منا ببعض الخصوصية.»

«بدأت اتساءل سواء اكان الفيلم الذي تحدثت عنه بريغادون أم ذاك الفيلم الذي من بطولة كلارك غيبل... ما اسم البطلة؟... كلوديت غولبرت، تعرفين ذاك الفيلم...»

قاطعته وهي تنهض: «حدث ذات ليلة. ثق بكلامي سيد ستون، لا وجه شبه على الاطلاق بين الفيلم وبين ما يحدث هنا.»

«لا تستطعين المعرفة المسبقة بمثل هذه المسائل.» قال بابتسامة مغيظة وهو ينهض بدوره وفيما كان يحاول الامساك بعصاه لاحظت لندسي تعبير الألم الشديد الذي ظهر على قسمات وجهه ورأت إغماضه لعينيه وتأرجحه بمنة ويسرة. وقبل ان تسارع اليه مخافة السقوط فتح عينيه واستعاد السيطرة.

لكن نظرة عينيه لم تكن عادية. فسألته بقلق: «هل تشعر بالدوار؟»

«الدوار؟ اجل قليلاً فقط.»

«بقيت ساهراً لفترة طويلة.» قالت ذلك وهي تخفي مقدار

قلقها الشديد عليه: «لم لا تعود إلى السرير؟ سأحضر الأغطية وبعض الوسادات الإضافية وفور انتهائي من هنا سآتي وأضع ستارة بين السريرين.»

لم يناقشها وهذا أقنعها تماماً بانه متعب جداً.

«لكن لا تتأخري كثيراً قد اشعر بالوحدة وأنا هناك بمفردي، اشعر انني من الرجال التواقين للرفقة وانني نادراً ما أبقى وحدي بعيداً عن الآخرين.»

رغم محاولته الابتسام الا انها لاحظت تقلص عضلات وجهه، لا بد ان إصابة جبينه لازالت تؤثر على صحته بقوة، عليها ابقائه مرتاحاً في السرير لأطول فترة كي يسترد كامل قواه.

قالت محاولة بث الطمأنينة في نفسه: «ستكتشف ذلك... في النهاية.»

لكن بعد ذهابه لغرفة النوم تساءلت عما اذا كان السبب في حاله ليس جرح رأسه فقط بل التوتر والقلق المسيطران عليه بسبب فقدانه الذاكرة. فالمصاب بفقدان الذاكرة يصاب عادة بالإحباط ولربما الغضب لجهله التام عمن يكون وسيحاول دوماً الضغط على دماغه لاسترجاع تلك المعلومات الدفينة في ذلك القسم الداكن من الدماغ... هذا بالإضافة إلى القلق والتوتر المعتاد لمن هم بمثل هذه الحالة، فلربما هناك أسرار في الذاكرة عن احزان قديمة يفضل عدم تذكرها بسبب الألم المرافق لإعادتها...

غسلت بقية الاطباق وأخرجت يورغ ليركض قليلاً في الخارج قبل النوم كعادته وتابعت هي تنظيف ما تبقى من المطبخ مستغرقة كل الوقت كي تتأكد من استغراق غيدوين

بالنوم حين تعود للغرفة. وتناولت ستاراً من خزانة المطبخ لتجعله ستاراً بين السريرين كما سبق واخبرت غيدوين، فآخر ما تريده رؤيته لها اثناء نومها.

حين عادت إلى الغرفة بعد وقت ليس بقصير وجدت عينيه مغمضتين، فارتاحت لاعتقادها انه غارق بالنوم. لكنه لا بد سمع وقع خطواتها الخفيفة جداً على السجادة ففتح عينيه بتكاسل بعض الشيء.

«ما كنت لأزج نفسي بهذا لو كنت مكانك.» قال قاصداً الستارة التي تنوي تثبيتها: «على الأقل ليس هذه الليلة، فأنا سأغط بنوم عميق بعد ثلاث ثواني بالضبط...»

«افضل الا ينظر احد إليّ اثناء نومي.» قالت بصوت رقيق وسمعته يقهقه قبل ان تتابع ما ارادت قوله.

«لكني نظرت اليك ليلة البارحة.» قال ذلك بصوت ناعس وعيناه تقاومان النوم: «استيقظت... حوالي الثالثة فجراً... ونظرت اليك. نظرت مطولاً، وكانت اضواء نيران الحطب في المدفأة تلمع على شعرك الأسود تلقي ظلال رموشك الطويلة على بشرتك العاجية وعلى ملامح وجهك الرقيقة، نظرت اليك وادركت انني لن أجد ابداً هكذا جمال... كجمالك ايتها الفتاة الجبلية... ايتها الحلم الجبلي...»

كانت كلماته تخرج ببطء اكثر فأكثر وهو يتكلم وحين همس: «ايتها الحلم الجبلي...» ادركت انه غرق الآن في بحر الأحلام وغط بالنوم لكن هذا لم يخفف من حدة اللون الذي صبغ وجنتيها.

ظلت واقفة مكانها دون حراك لدقائق طويلة... اعتقدها جميلة... وهي، هي تعتقده اكثر الرجال وسامة على وجه

الأرض، لكن ألم يسبق لها ان عرفت ذلك قبل وقت طويل... حتى قبل أن تعرف هويته... حين رأته عبر نافذة مطعم اليزابيت؟»

وجود أي علاقة بينهما مهما كان نوعها كان شيئاً مستحيلاً.

سارت ثانية نحو الباب والألم الشديد يعتصر قلبها. لا فائدة الآن من تثبيت الستارة فهي لن تنام على السرير الآخر، اغلقت الباب واتجهت ثانية إلى الكنبة المقابلة للمدفأة حيث نامت الليلة الماضية لكنها هذه المرة ادارت ظهرها نحو السرير، وهكذا حتى بحال استيقاظ غيدوين ليلاً فلن يتمكن من رؤية وجهها. لن يتمكن من رؤية الملامح الرقيقة والتي قد تكشف له حقيقة وقوعها في حبه...

الفصل السادس

لم يكن من المستغرب رؤيتها له في أحلامها. لكن ما أدهش لندسي قوة حلمها وعمقه... واحساسها الدفين أن هذا لم يكن حلما. كان يمسك بيدها ويشدها إليه.

يمسك بيدها؟... فتحت عينيها فجأة لتجد يورغ يربت على يدها فنهرته بحب ثم ربتت على ظهره وهي تهز رأسها ساخرة من نفسها.

كان الكلب جالساً على قائمتيه الخلفيتين قرب الكنبة وعيناه تتوسلانها كي تخرجه للتنزه خارجاً.

تمطت لندسي ونظرت إلى السرير لترى إن كان غيدوين لا زال نائماً لكن أحداً لم يكن هناك. فسارعت لاشعال الضوء وفتح الباب. حينما نظرت للممر الضيق فتح باب المرحاض وخرج غيدوين متكئاً على عصاه وابتسم باشراق.

«الأرجح أنك أحسن حالاً اليوم.»

سأل بخبث: «هذا ما ترغبين به؟»

تجاهلت سؤاله ولاخفاء ارتباكها قالت بصوت متهدج رغما عنها:

«سأفتح الباب الخارجي ليورغ حتى يتنزه قليلاً.» وتابعت متحاشية النظر إليه كي لا تفضح عينيها شدة اعجابها به: «هل ستعود إلى السرير؟»

اومأ برأسه نافياً وقال: «لا. لن أعود إلى السرير.» امتدت يده لتلامس وجهها. انتظرت وأنفاسها مخنوقة توقف

www.elromancia.com

ملامسته لها لكن هذا لم يحدث. بخفة وجدته يقبلها قبلة رقيقة ناعمة وأثيرية.»

هل يمكنها العيش مع ما ستكون نظرة هذا الرجل نحوها لاحقاً حين تعود إليه ذاكرته؟ بالطبع لا تستطيع. هذا الرجل يعتبرها غريبة وهو لا يعرفها. إنه في هذه اللحظة لا يعرف نفسه. حين تعود إليه ذاكرته سيحتقرها، سيكرهها حتى أكثر مما يكرهها أصلاً. وإضافة لذلك فهو سيكره نفسه.

سألت: «هل تريدني ان اقدم لك الفطور في السرير؟»

«فطور في السرير؟» قال بصوت ضاحك: «ما الذي تفكرين بتقديمه؟»

«عجّة.»

قهقه هذه المرة وقال: «تعتقدين أن بإمكانك إغوائي بالبقاء في السرير بتقديم طبق العجة لي؟ لا بد أنك تمزحين.»

«هذا عرضي الأخير.» قالت وهي تسير إلى المطبخ ويورغ إلى جانبها... لكن لخيبة أملها سمعت صوت طرق عصاه خلفها. إذن فقد قرر الذهاب إلى المطبخ هو أيضاً.

تجاهلته إلى أن فتحت باب المطبخ الخلفي ليخرج يورغ، ووجدت نفسها ترتعش رغم دثارها السميك بسبب الرياح الباردة: «يبدو أن الطقس أبرد من البارحة.»

استدارت ووجدت غيدوين واقفاً قرب المدفأة فقالت له: «الافضل لك وضع الكنزة السميكة، فالحرارة متدنية جداً.»

«حاضر سيدتي.» قال وهي يحييها بتحية عسكرية.

ابتسمت رغما عنها وسألته: «كيف حال رأسك اليوم؟»

«إنه ممتاز. أشعر وكأنني عدت إلى طبيعتي...»

هز كتفيه متابعاً: «كيفما كانت طبيعتي أصلاً، وأظنها هكذا.»

سار مغادراً المطبخ وعائداً إلى غرفة النوم وهو يتكىء على العصا. تنهدت لندسي وهي بطريقها لفتح المذياع. لقد قررت أن تكون جدية وصارمة معه والا تدعه يكتشف مدى اعجابها أو لربما حبها له ولكن هذه المهمة لن تكون سهلة اطلاقاً وهو بهكذا مزاج مرح، طبيعي وحساس. لتتمنى ذوبان الثلج السريع ورحيله فهذا هو السبيل الوحيد لتحاشي ما قد تكون كارثة لها. أدارت المذياع وسمعت فوراً صوت مذيع الأحوال الجوية.

«والآن إلى الطقس. يتوقع بقاء الحرارة المنخفضة حتى نهاية الاسبوع. مع أن الطرق الرئيسية أصبحت سالكة الآن إلا أننا نحذر المسافرين من أن الطرق الفرعية في مناطق موراي، تورغلن وسباسايد لا زالت مقطوعة بسبب الثلوج. نأمل بفتح هذه الطرقات غداً، للسماح للسيارات بسلوكها.»

عند هذا الحد اطفأت لندسي المذياع.

غداً؟ لكن حتى ولو تمّ فتح تلك الطرقات فإنها ستبقى محتجزة هنا مع غيدوين ستون. لحين مجيء أحد رجال بوب ليفتح لها الطريق المؤدي إلى بيتها.

لو أن الهواتف لم تكن معطلة لاتصلت ببوب وسألته عن موعد مجيئه لانقاذها...

الهاتف، لم تفكر بتفقده. أيمكن أنه تم اصلاحه؟ قفزت إلى غرفة الجلوس وارتجفت من برودة الهواء حين فتحت الباب وسارت إلى الهاتف. رفعت السماعة... لكن للأسف لم تسمع أي صوت، ولا حتى رنة بسيطة. كان الخط لا يزال مقطوعاً.

عادت إلى المطبخ وبدأت بتحضير الشاي والعجة. عليها قضاء على الأقل أربع وعشرين ساعة أخرى برفقة أكثر الرجال فتنة. من حسن الحظ ان ذاكرته لم تعد إليه بعد لكنها ستظل قلقة من تذكره لشيء ما فجأة وحينها لا أحد يعرف ما الذي قد يحل بها.

فيما هي تحضر الفطور، تمنت بصمت أن تبقى ذاكرته مفقودة لحين مغادرته منزلها.

يوم آخر. ليلة أخرى.

ليس هذا بالطلب المستحيل.

أصر غيدوين على غسل الاطباق بعد انتهاء الفطور. وبعد مجادلة عميقة تناولت لندسي كيس الخضار من الثلاجة وبدأت بتقشير الجزر استعداداً لتحضير الغداء. وفيما هما يعملان، عاد يورغ كعادته توجه فوراً إلى طبق طعامه وأخذ يلتهم محتوياته بشراهة.

كان هذا مشهداً هادئاً. هذا ما دار بخلد لندسي فيما الصوت الوحيد المنبعث من المطبخ كان صوت المياه الجارية في الحوض. بعد تناولهما الفطور غرق غيدوين ولندسي كل في افكاره.

الآن بعد انهائه لآخر صحن وضعه مكانه وقال قاطعاً الصمت: «كنت أفكر بموضوع مهم. أنا لم أشكرك كفاية أو كما يجب لانقاذك إياي ليلة العاصفة. لو لم تدخليني منزلك... لو أنك طردتني بعيداً لكنت الآن في عداد الأموات. الشكر لك غير كافي لما فعلته لأجلي. أنت أنقذت حياتي.»

«لا بأس بذلك.» ردت لندسي بهدوء: «أنا متأكدة من أنك كنت لتفعل الشيء ذاته لي لو كنت أنا المصابة.»

«ربما... لكن لاختلف الوضع حينها. أنت فتحت بابك لرجل لا تعرفينه... رجل كان منظره مرعباً دون شك والدم يغسل وجهه. وهذا موقف صعب لامرأة تعيش وحدها وبعيدة أميال وأميال عن أي منزل آخر.» قطب جبينه وتابع: «ألم تشعري بالخوف؟ الخوف من أن أكون... مجرما فاراً... أو لربما أسوأ من ذلك؟»

أرخت لندسي نظرها عنه وركزته على الجزر في يديها قائلة: «لم يكن لدي الوقت للتفكير.»

كانت هذه هي الحقيقة، فحتى لو لم تعرفه لتصرفت بالطريقة ذاتها.

«كنت مصاباً...»

«لندسي...»

نطق اسمها بنبرة حادة جداً فرفعت نظرها إليه ووجدته يحدق بها.

«أجل؟»

«أشكرك من أعماق قلبي.» قال وقد رقّت ملامحه وظهر تعبير غريب داخل عينيه، تعبير هو مزيج من الحنان والدفء: «وأنا مدين لك بنجاتي، ألا يقولون حين تنقذ حياة شخص ما فإن ذاك الشخص يصبح ملكك؟ هذا هو شعوري يا لندسي، أشعر وكأنني ملكك.»

ظهرت الدهشة الآن على ملامحه وهو يتابع: «لا أفهم هذا لكني أشعر أنني أعرفك طيلة عمري. لكن هذا مستحيل أليس كذلك؟ فقد تقابلنا البارحة فقط. لكن ربما... ربما كنا نعرف بعضنا... أتظنين هذا ممكناً؟»

تحاشت النظر إليه مجدداً وهي تجيب: «هذا سؤال جيد.»

حين نظرت إليه تمنت ألا يلحظ احمرار خديها. لكم كرهت هذا الادعاء. عليها الانتباه جيداً باختيار كلماتها فمع أنها لم تكن تكذب لكنها بالطبع لا تقول الحقيقة.

سألها مجدداً: «إذن تظنين أننا سبق وتقابلنا؟» يبدو أنه مصمم على متابعة هذا الحديث.

«أي شيء ممكن، أليس كذلك؟ من يدري؟ لعلك قضيت وقتاً في كريغ مور أثناء طفولتك، ولعلك شاهدتني في القرية مع والدتي، ولسبب ما التصقت تلك الصورة في ذهنك.»

«لا.» قال وهو يساعدها بعملها: «الأمر أكثر من ذلك حين... ألمسك... يبدو وكأن هذا شيئاً سبق وفعلته.»

شعرت لندسي بقلبها يعتصر. هي تعرف تماماً ما يشعر به نحوها فهذا الشعور موجود لديها أيضاً. الآن، وفي هذه اللحظة كانت تشعر بالأمان التام، كانت تشعر أنها حقاً في مكانها المناسب.

تنهدت بعمق ووضعت رأسها على كتفه. انها ومنذ سنوات مراهقتها كانت تتحاشى الاحتكاك بالناس. فما حدث لوالدتها كان دائماً أمام ناظريها ومع أن علاقة والدتها بالكساندر كانت حميمة، صادقة وقوية إلا أنها جعلت من والدتها منبوذة من المجتمع ووحيدة إلا فيمن ندر من الاصحاب.

لكن بنفس الوقت مسؤولة عن طفلة حملت بها، انجبتها وحضنتها بكل حب واهتمام، طيلة أيام حياتها لدرجة أن لندسي لم تشعر يوماً بفراغ عاطفي نظراً لعدم وجود والد قربها. هكذا ودون أن تدري وجدت لندسي نفسها تنفر من أي تودّد أو نظرات اعجاب كانت توجه إليها من الشبان. نما

هذا الشعور مع نضوجها وتحاشيها التورط بأي علاقة رغم أن عملها كعارضة لدى داماريس فتح لها آفاق التعارف الواسعة على مصراعيها. لكن شروط عقدها كانت تحرص على بقائها بعيدة عن أي فضيحة أو شائعة قد تلوث سمعتها، وهذا معناه عدم السماح لنفسها بدخول مطلق رجل إلى حياتها. فحتى وإن أحست بحاجتها لذلك أحياناً إلا أن عقلها كان الرادع الأقوى وكانت هي على الدوام بالغة الحرص حتى في مقابلاتها السرية والقليلة مع الكساندر والدها. كان ذلك الحرص ساريا... حتى الآن. ما كان داماريس ليقول لو أنه شاهدها الآن؟ في هذه اللحظة بالذات مع رجل غريب وفي موقف يحفه الخطر؟

وجدت لندسي نفسها تسأل هذه الاسئلة رغم قرارها بعدم التفكير بشيء حالياً وتابعت التفكير على نفس المنوال.

إنها الآن في موقف يعرض سمعتها للخطر. وكأن هذه فصول فضيحة جديدة. فضيحة أخرى في تورمور. كما فعلت الوالدة، ستفعل الابنة...

سمعته يهمس بأذنها: «أنت بالغة الرقة والنعومة... لندسي، يا حلمي الجبلي الجميل... هل أنا في حلم أم أن هذا حقيقة؟»

«حقيقة.» أجابته بصوت لا يقل عاطفة عن صوته: «إنه حقيقة.»

وفجأة سمعته يقول: «هذا لن ينجح.»

وبذهول وجدت لندسي نفسها بعيدة عنه فيما تابع هو بصوت ينضح بالاحباط: «لا يمكن لي يا لندسي حملك كما يفعلون في الأفلام، فيما أنا بالكاد قادر على الحفاظ على

توازني دون هذه العصا أو الاتكاء على الحائط. هذا سيء جداً... منذ شاهدت فيلم ذهب مع الريح للمرة الأولى وأنا أتوق لتكرار دور ريت باتلر بحمل المرأة.»

قهقهت بشدة ولم تستطع منع نفسها من ذلك.

«لم أفكر بذلك قبل الآن. أجل قد يكون هذا إمكانية مميزة... خاصة في حالتي. فأنا لست خفيفة الوزن.»

أدركت أن غيدوين كان يحدق بها الآن بتركيز، بتقييم، وبأمل.

تابعت وهي تبتعد عنه: «عليّ القيام ببعض الأعمال.»

قبل أن تبتعد كفاية أمسكها من ذراعها وجرها نحوه.

«أخبريني شيئاً.» قال برقة وهو يحدق بها: «ليلة البارحة، لماذا نمت على الكنبة وليس في الغرفة؟»

«لم أرغب بايقاظك أثناء تثبيتي للستارة، لذا لم أفعل ونمت على الكنبة.»

«لا أريدك أن تبقي ساهرة مطولا لتنامي على كنبة غير مريحة اطلاقاً. أترغبين أن أثبت الستارة بنفسي الآن؟»

لم تستطع لندسي الرد لفترة طويلة. فهي أدركت مغزى كلامه المبطن. وفيما رفع يدها إلى فمه طابعاً قبلة دافئة عليها. سيطر عليها الذعر.

همست: «اجل، أرجوك.»

ودون الانتظار لرؤية ردة فعله حررت يدها من يده وابتعدت نحو حوض الغسيل وظهرها له.

لم تسمع أي صوت لدقائق وأحست أنه ينظر إليها بحيرة من يود الاستطراد في الموضوع أو تجاهله. في النهاية اتخذ الخيار الثاني. حين سمعت صوت عصاه تطرق الأرض

أثناء عودته إلى غرفة النوم تنفست الصعداء وسرت أن لحظة الخطر المحدق انتهت.

سيشكل هذا الستار حاجزاً يبقيهما منفصلين هذه الليلة؟ مع الشعور الذي يكنه الواحد منهما للآخر؟

أجل يجب أن يكون الستار كذلك قالت في نفسها بصراحة، فهي لن تستسلم لهذا الرجل أبداً. لن تكون سهلة لهذا الغريب. لكنها كانت تدرك تماماً أن هذا الأمر سيكون شاقاً جداً وشعرت أنها باتت تخشى هذا الموضوع أكثر من خشيتها عودة الذاكرة إليه. فهل ستتمكن حقاً من الحفاظ على وعدها لنفسها؟

الفصل السابع

أخرجت لندسي يورغ للتنزه كعادتها بعد الغداء وفيما هي تسير أشرقت الشمس فجأة من بين الغيوم. رغم برودة الطقس إلا أنها وقفت مكانها لبعض الوقت مستمتعة بالهواء النقي وبأشعة الشمس الخجولة المنعكسة ببريق رائع على الثلوج. كان الطقس كئيباً والسماء ملبدة بالغيوم الرمادية طيلة الصباح... كما كان الوضع قبل يومين وكان من المبهج رؤية هذا التغير الآن. نظرت مجدداً إلى داخل المطبخ حيث كان غيدوين يغسل الأطباق وأوشكت أن تناديه ليأتي ويستمتع بأشعة الشمس لكن الكلمات ماتت على شفاهها. كان ظهره لها لكن رغم ذلك وجدت نفسها تحدق به بحب واعجاب. لقد اختار تلك اللحظة بالذات ليستدير وكأنه شعر بعينيها عليه.

«هل من خطب ما؟»

اجابت: «لا. لا خطب. كنت على وشك القول انني بحاجة للهواء النقي... بعد الاحتجاز بالداخل كل هذه الفترة. أظنني سأنتعل حذائي العالي وارتدي معطفي وأخرج لبعض الوقت. وقد استطيع ازالة بعض الثلج عن المدخل.»

قطب قائلاً: «بإمكاني القيام بذلك، حين أنتهي من هذا.»

اومأت بيدها قائلة: «شكراً لك. أقدر لك عرضك لكن هذا سيكون صعباً وأنت تسير مستعيناً عليك بالعصا، على كل حال أنا بحاجة للحركة.»

«وبحاجة للابتعاد عنك.» قالت في نفسها... لكنها بالطبع لم تنطق بذلك.

تناولت حذاءها ومعطفها وكانت يورغ قد عاد وأخذ يدور حولها بحماس.

«لا بأس انتظر قليلاً.» قالت له بابتسام وعقصت شعرها للخلف قبل أن تتابع: «تعرف أين ستجدني ان احتجت لشيء.» وقبل أن تسمع رده غادرت وأغلقت الباب خلفها.

وقفت لندسي لبعض الوقت ونبضات قلبها متسارعة، والأمل يحدوها بمجيء أي عامل من طرف بوب لفتح الطريق وتخليصها من هذه الورطة التي لا تعرف نهايتها.

كانت الغيوم تتسارع في السماء وكأنها تطارد شبحاً ما. فيما ظلالها تنعكس على التلال المغطاة بالثلج في الأسفل. غطت عينيها من أشعة الشمس القوية بطرف يدها فيما قمم الجبال شاهقة وبيضاء والدخان يظهر من البعيد بخروجه من مداخن البيوت أسفل التلة.

ارتجفت لندسي لبرودة الجو وبدأت السير للشعور ببعض الدفء. بوصولها إلى باب المنزل الرئيسي وجدت الثلج أعلى مما كانت تظن. استغرقت وقتاً وهي تزيله، وبانتهائها عادت الحرارة إلى كل جسدها وشعرت بالدفء. أدركت أن عليها متابعة الحركة والاستصاب بالانفلونزا بحال عادت البرودة إليها مجدداً. وهكذا تابعت جرف الثلج بعيداً عن مدخل المنزل وحتى باب الحديقة الخارجي. وقد ساعدها هذا على عدم التفكير بأي شيء آخر مما ساعد على شعورها بالاسترخاء والراحة. حين انتهت كان التعب قد أرهقها لكنها كانت سعيدة بهكذا نشاط. اتكأت إلى باب المنزل وأخذت تنظر

إلى الجمال حولها باعجاب قبل الدخول. فجأة فتح الباب خلفها بشكل غير متوقع ففقدت توازنها... واتكأت فوراً إلى ذراعين قويين منعاها من السقوط.

«آسف.» قال غيدوين بدهشة توازي دهشتها ثم قهقه متابعاً: «لم يخطر ببالي انك واقفة خلف الباب فآخر مرة فتحت الباب ونظرت بها اليك كنت مشغولة بازاحة الثلج عن ممر الحديقة...»

«هل أصلحت صنبور المياه؟» سألته وهي تتمنى لو يفلتها وأن يبعد يديه عن كتفيها.

رد وهو يبتسم: «تم تصليح كل شيء. كما وأنني وضعت ابريق الشاي على النار. سنتناول الشاي الساخن بعد دقائق قليلة.»

«شكراً.» تململت محاولة الابتعاد ومع أن قبضته لم تكن محكمة على كتفيها إلا أنه لم يفلتها.

«كنت أتساءل...» تابع وكأنه لا يشعر بما يعتمل داخلها: «عن كريغ مور. بأي اتجاه موقعه من هنا؟ لربما إلى الغرب من هنا؟»

«بل إلى الشمال الغربي بالتحديد.» قالت وهي تشير إلى الجهة المقصودة: «حين لا يغطي الثلج الأرض يمكنك الوصول إليه بالسير بمحاذاة سفح الجبل، لكن السير إليه لن يكون سهلاً. والطريق الأسرع هو عبر طريق عند أسفل التلة وحينها لن تقود الا لميلين تقريباً قبل أن تصل إليه. لن تتوه عن رؤية البوابة الرمادية الفخمة المحفور عليها اسم: «كريغ مور.»

«أنا متشوق لرؤية المكان. لا أفهم سبب رغبة والدي ببيعه. ذهبت أنت إلى هناك ورأيت المكان، ما قيمته برأيك؟»

«لا فكرة لدي اطلاقاً عن ذلك. فأنا جاهلة تماماً فيما يتعلق بالعقارات.»

«هذا صحيح. فما أدراك أنت بهذه الأمور؟»

«ماذا تقصد؟» قالت وهي تحاول ثانية الابتعاد عنه لكن دون جدوى.

«تبدين لي من نوع الأشخاص الذين لا يكترثون للأمور المادية.» رفع وجهها إليه وحدق بعينيها: «أنت من نوع النساء اللواتي لن ينهرن الرجل إن دخل مطبخهن والوحل يلطخ حذائه، من نوع النساء اللواتي يشعرن بالرضى والاكتفاء بالجلوس على كنبة قديمة لسنوات بدل تراكم الديون على زوجها لشراء أثاث جديد، أنت من النساء اللواتي يقيمن الاشياء البسيطة في الحياة، كبريق الشمس على الثلج، وتدليل الكلب، والقبلة التي يقبلك إياها الرجل الذي تحبين في نهاية النهار...»

كانت تسمع صوت نباح يورغ قربهما، وصوت زقزقة عصفور وحيد على شجرة ما خلف البيت...

كانت تسمع الصوت الصغير داخل رأسها والذي يخبرها أنها تتعرض مجدداً للحظات محفوفة بالخطر... من الواضح أن غيدوين اساء تفسير الارتجاف الذي اعتراها.

سأل فوراً بقلق: «هل تشعرين بالبرد؟ تباً، لا يفترض بي إبقائك في الخارج هنا والطقس بهذه البرودة ليس بعد عملك الذي أشعرك بالدفء.» وضع ذراعه حول كتفيها وأدخلها إلى المطبخ حين صدر صوت إبريق الشاي الذي كان يغلي.

قالت مبتعدة عنه: «الأفضل لي الذهاب للاستحمام الآن. هلا أعددت الشاي؟ سآتي لاحتسائه فور انتهائي. تجد كل ما تحتاجه في تلك الخزانة هناك داخل علبة زرقاء.»

كانت فكرة الاستحمام فكرة جديدة، ليس بداعي النظافة فقط بعد إزالة الثلج، بل أيضاً للتواجد داخل الغرفة الوحيدة في المنزل التي على بابها قفل. فهي بحاجة حالياً للانفراد بنفسها في مكان لن يصل إليه غيدوين ستون حتى ولو للحظات قليلة، كي تستعيد رباطة جأشها وتستجمع قواها كي تقاومه.

عليها مقاومته طالما هو هنا ولتأمل أن يغادر غداً وبعد ذلك ستتأكد من عدم رؤيتها له مجدداً. لكن المشكلة أنها داخلياً كانت تتلهف بكل ذرة في كيانها لرؤيته دائماً. لكن لا يجب أن يعرف ذلك اطلاقاً.

ارتدت لندسي فستانا من الصوف أخضر اللون له حزام حول وسطه وكانت تسرح شعرها في غرفة النوم حين سمعت صوت غيدوين خلفها.

«خذي... نسيت هذه في الحمام.»

نهضت ونظرت إليه: «ساعتي... شكراً لك. القفل محلول بعض الشيء. اردت دائماً تصليحه...»

«عليك ذلك.» تمتم: «إنها ساعة جميلة وغير عادية... إنها فريدة من نوعها كما أظن من المؤسف فقدانها.»

أخذ يحدق بالساعة باعجاب للحظات طويلة قبل أن يديرها ليرى جهتها الداخلية. لكن لندسي توقعت قيامه بذلك لهذا وقبل أن يتاح له الوقت لتمييز الجملة المحفورة على الساعة أخذتها منه قائلة: «شكراً، خلعتها قبل الاستحمام ونسيت وضعها ثانية.»

كانت هذه غلطة فظيعة منها. كيف لها أن تنسى هكذا قطعة أمام ناظري غيدوين؟ ماذا لو أنه قرأ الجملة المحفورة على

الساعة قبل احضارها لها؟ «إلى آشلن من الكساندر للذكرى.»

ماذا كان ليحدث حينها؟ أكانت رؤيته لاسم والده ستعيد له الذاكرة؟ لا بد أن الكلمات كانت ستثير لديه الفضول أو حتى التساؤل. كسؤالها مثلاً من هو الكساندر هذا؟ تعرفين أحداً اسمه الكساندر؟ ليس والدي طبعاً...؟ وكيف كان لها الرد على هكذا سؤال دون أن تكذب؟ حتى الآن كان غيدوين ينظر إليها بدهشة. دهشة وشيء آخر. ربما فضول؟

«آسفة.» رددت ثانية: «لهذه الساعة قيمة عاطفية كبرى عندي... أشعر بالضياع وأنا لا أرتديها.»

«لا مشكلة بذلك.»

غيرت لندسي الموضوع بابتسامة: «هل انتهى الشاي؟»

«نعم. لا بد أن شربه طاب الآن.»

سارا إلى المطبخ ولندسي يغمرها الارتياح لمرور هذه اللحظة.

لكن خطراً آخر ومن نوع آخر لها بالمرصاد... فوجوده قربها بدأ يؤثر بشكل مدمر على أعصابها وثباتها ويمنعها من التركيز على شيء آخر...

قال لها: «أحضرت الكرسي الهزاز الآخر من غرفة الجلوس.»

قالت بخفة: «هذه فكرة جيدة. حين كانت والدتي على قيد الحياة كنا نبقيه هنا دوماً... حيث وضعته بالضبط أو إلى اليسار قليلاً... لذا كان لكل واحد منا كرسي. لكن بعد وفاتها... هذا جعلني أفتقدها أكثر، مجرد رؤية الكرسي الهزاز الفارغ مكانه...»

قال لها بعطف وتفهم: «سأعيده إلى غرفة الجلوس إن كان وجوده يزعجك.»

«لا، لا.» قالت وهي تهز رأسها: «لا بأس بذلك الآن. كان علي إعادته إلى هنا قبل الآن بكثير، لكن لم يكن من جدوى لذلك. فأنا نادراً ما أحظى بزوار.»

«لا بأس بذلك إذن. الآن سأسكب الشاي. إجلسي هناك...»

لم تكن لندسي معتادة على أن يخدمها أحد لكن بعد تردد بسيط جلست وهي ترى غيدوين يعد كل شيء بكفاءة. وضع ابريق الشاي والفنجانين أمامها ثم أحضر صحناً من البسكويت الهش وآخر من البسكويت المحلى.

سألها: «ماذا تريدين مع الشاي؟»

«القشدة فقط من فضلك.»

لم ترغب بالنظر إليه أثناء سكبه الشاي له ولها ولكن كانت عيناها تلتفتان دون ارادة منها. في النهاية تنهدت وتركت لنفسها العنان بالاستمتاع بمراقبة هذا الرجل، رجل الأعمال الناجح الثري الذي كان له شهرة في كل أنحاء بريطانيا.

«تفضلي يا سيدتي، استمتعي بالشاي.»

«شكراً لك.»

لو أنها رأته أثناء اجتماع أكثر رجال الأعمال نفوذاً وببذلة رسمية وتصرفات تعكس تصرف رجل مغرور، لما أثار اعجابها أكثر مما اثاره الآن في هذه اللحظة بالذات. شعورها نحو غيدوين ستون هذا كان غريباً تماماً عليها. فالاعجاب الشديد برجل شديد الوسامة شيء... والذوبان الداخلي لمجرد مراقبته وهو يسكب لها الشاي شيء آخر.

«كيف وجدته؟» سألها قاطعاً عليها أفكارها ومعيداً إياها لأرض الواقع ثانية.

تمتمت: «غريب لكنه رائع.»

«حقاً؟»

مسحة الدهشة في صوته اعادتها إلى الواقع... لا بد أنه كان يسألها عن الشاي لا عن ماهية الوقوع في الحب...

«الشاي... إنه جيد.» سارعت للقول بأنفاس متقطعة: «إنه ممتاز. ساخن ولذيذ.»

قال: «البسكويت رائع الطعم. هل صنعته بنفسك؟»

«أجل.» قالت وهي تقضم واحدة دون أن تشعر بأي طعم.

«يوجد مربى على شفتك.»

قالت: «حقاً؟» وحاولت ازالتها لكنه هز رأسه ووضع فنجانه جانباً.

«ها هي.» قال وهو يمسح لها المربى بفوطته ويده ممتدة عبر الطاولة قبالتها. نهضت بارتباك عارم حين انتهى متناولة فنجانها إلى حوض الغسيل وكأنها انتهت من احتساء الشاي، وتشاغلت بغسله لكن ما هي الا لحظات وشعرت به خلفها ثم إلى جانبها وهو يضع فنجانه في الحوض ويتكىء على حوض الجلي وعيناه عليها.

قال بمرح: «أتعرفين... أحب كثيراً مراقبتك وأنت تؤدين الاعمال المنزلية. أشعر حينها وكأنني معتاد على هذا طيلة حياتي وكأنني... كأنني في منزلي في مكاني المناسب.»

توقف للحظة مدركاً أنها لم تكن تنظر إليه حتى رغم انتهائها من تنظيف الفنجانين. أدارها نحوه ولاحظ الاحمرار الشديد على وجنتيها والبريق داخل عينيها والاضطراب العميق على كل قسماتها.

همس: «لندسي. ماذا عساي أفعل بك...»

«لماذا؟» سمعت نفسها تسأله بهمس، لم يبعد نظره عنها ورأت بوضوح عمق الأسى والخيبة الملتمعة في عينيه.

«كنت أحاول إقناع نفسي بأن هذا لا يهم.» قال ويده تعبث بشعره بتوتر: «لكنه مهم بالطبع.»

سألت مجدداً باحباط لم تستطع إخفائه: «ماذا؟»

«أجهل من أكون...»

«أنت غيدوين ستون.»

«أجل، أعرف ذلك.» وتابع بحزن شديد: «لكن ما لا أعرفه قد يكون أمراً يجعل طريقة تصرفي معك شيئاً بغيضاً لي... ولشخص آخر.»

«لمن؟»

«لندسي.» قال وهو يبتعد عنها عائداً إلى الطاولة: «لعل هناك امرأة ما في مكان ما تتساءل بحرقة الآن عن مكان وجودي، وعما حدث لي... قد أكون رجلاً متزوجاً.»

الفصل الثامن

لا، لست كذلك!

تدبرت لندسي بطريقة ما كتم هذه الصرخة التي اندفعت لا إرادياً من قلبها، تدبرت أمر كتمها في اللحظة المناسبة، كانت الكلمات لتخرج من فمها ولتبقى معلقة في الهواء بينهما.

كان غيدوين ينظر إليها بذهول شديد، لست متزوجاً؟ كان ليسأل وكان ليتساءل بتعابير قلقة، ما الذي يجعلك واثقة لهذه الدرجة؟ لذا بدل صرخة الاحتجاج هذه اخفضت نظرها إلى الأرض وقالت بهمس: «لم يخطر هذا ببالي.»

كانت صادقة فيما تقول بالطبع، فهي لم تفكر بهذا الموضوع لمعرفتها الأكيدة انه غير متزوج، لكن ألم يكن يجدر به طرح هذا السؤال على نفسه قبل الآن؟ «انا خطرت الفكرة على بالي.»

سألت بوهن: «حقاً لكن...»

«اعرف بم تفكرين.» قال بصوت يعكس ندمه الشديد... واستيائه من نفسه: «خطرت الفكرة ببالي قبل فترة طويلة، لكني ابعدت ذهني عن هذا التساؤل، على الأقل... هذا ما حاولته.»

«لكن... لماذا؟»

قال ببساطة: «بسببك بدا وكأن الرابط بيننا كبير جداً وكذلك الانجذاب...» توقف ثم هز كتفيه متابعاً: «انا لم اشعر بأنني رجل متزوج، اعرف ان هذا ليس عذراً لطريقة تصرفي، لكن...»

www.elromancia.com

قالت لندسي برقة: «الأرجح انك على حق إذن. ربما الآمن لك الوثوق بنفسك في هذا المضمار بالذات.»

«شكراً لك يا لندسي.» قال مبتسماً وتابع: «شكراً لك لمحاولتك تحسين شعوري نحو نفسي، على الأقل نحن لم... لكن رغم ذلك فقد تمادينا قليلاً. بحال كنت متزوجاً، انا آسف، اعرف جيداً انك لست من نوع النساء اللواتي تتورطن مع رجل متزوج، لديك حس النزاهة وتلك العينين البريئتين... افضل الموت على ان أؤذيك أو أمسك بسوء، لكني أذيتك أليس كذلك؟»

عكس الندم الشديد في صوته صداه داخل قلبها، لم يقع أي سوء، لكنها قالت وهذه الكذبة تكاد تخنقها: «انا سعيدة انك توقفت... قبل فوات الأوان... سأخرج لبعض الوقت الآن فأنا بحاجة للحركة، قد اتابع إزالة الثلج.»

«لكن الظلام يوشك على الهبوط.»

«لا يهم.» ردت وهي تضع معطفها وتنتعل حذائها وتتناول قفازيها، لحظة اقترابها من باب الخروج وجدت يورغ قربها يهز ذيله بسعادة.

«هيا أيها المحتال، لنخرج.»

حين خرجت، بدت الدموع التي كانت تنهمر على وجنتيها تتجمد على الفور من شدة برودة الطقس، لكنها لم تجففها، لعل غيدوين يراقبها من النافذة، ولعله رأى عمق التعاسة في عينيها، وكان هذا آخر ما تريده.

كان العشاء عبارة عن قطع دجاج مقلية وسلطة، مع حلوى التفاح كتحلية، لم تتكلم مع غيدوين كثيراً اثناء تناول الطعام أو بعد ذلك.

قام غيدوين بغسل الاطباق فيما اهتمت هي بوضع الأخشاب داخل المدفأة.

«هل لديك لعبة شطرنج؟»

«أجل.» ردت بعد انتهائها: «لماذا؟»

هل سينشغل بهذه اللعبة بعد انتهائه كي يتجاهلها.

«اترغبين بلعب الشطرنج حين ننتهي؟»

الشطرنج؟ بطريقة ما خففت هذه الفكرة من التوتر المسيطر على الأجواء بينهما.

وجدت لندسي نفسها تقهقه قائلة: «طبعاً، لكن يجب ان احذرك انا بارعة في هذه اللعبة، كنت العبها ووالدتي دوماً في ليالي الشتاء بعد انهائي لفروضي المدرسية.»

«اعذر من انذر.» قال بمرح وفيما كان يضع جانباً آخر الأطباق رأت عينيه تلمعان.

«سأحضر اللعبة.» خرجت لإحضارها من غرفة الجلوس، حين عادت كان غيدوين واقفاً بمواجهة نافذة المطبخ وإحدى يديه على الستارة التي فتحها وأخرى داخل جيبه، كان ينظر إلى الظلام في الخارج لكن بسماعه صوت وصولها التفت اليها، لاحظت في الحال نظرة ألم داخل عينيه، لكن هذه النظرة اختفت في اللحظة التي ظهرت بها، لكنها كانت موجودة إذن فهو يشعر بالتعاسة والألم مثلها تماماً.

مع ان من يشاهدهما يلعبان الشطرنج يعتقدهما يقضيان وقتاً ممتعاً، فلندسي كانت تضحك بسعادة وتصفق بحماس كلما فازت وكان غيدوين يظهر خيبة أمله وكأنه كان يتوقع الفوز.

لكن شيئاً ما بينهما كان مفقوداً وكانا الآن مجرد شخصين مجبران على قضاء الوقت معاً. لم تمر على

لندسي هكذا امسية طويلة لا تنتهي من قبل. وحوالي التاسعة والنصف وحين لم تستطع تحمل المزيد تظاهرت بالتثاؤب واعربت عن رغبتها بالخلود للنوم.

«تصبحين على خير إذن.» قال غيدوين ذلك بهدوء وهو يداعب شعر يورغ.

كان قد اعتاد على يورغ تماماً كاعتياد يورغ عليه ولاحظت لندسي بامتعاض كيف ان الكلب كان يقضي معظم الوقت مستلقياً قرب قدمي غيدوين.

«انا لن اخلد للنوم الآن.» تابع وهو يستقيم: «اظنني سأظل ساهراً فانا اشعر بالراحة التامة هنا على واحد من هذه الكراسي الهزازة، كما وانني سأنام هنا أيضاً... اظن من الأفضل لكلينا عدم مشاركة غرفة النوم ذاتها.» سعل وكأنه يشعر بالارتباك متابعاً: «كدت انسى، عندما كنت تزيلين الثلج بعد الظهر في الخارج استمعت إلى نشرة الأحوال الجوية، يبدو انهم سيزيلون الثلج عن كل الطرقات بحلول منتصف الليل، وحينها سيتمكن صديقك من الوصول إلى هنا في الصباح، عند ذلك سأغادر انا منزلك وحياتك.»

كان هذا اختياراً غير موفقاً للعبارة، فهي تعشق وجوده في منزلها وحياتها وبلتها النظرة الكئيبة البادية في عينيه ان شعورهما كان متبادلاً.

سألتها: «هل تخرج يورغ لبعض الوقت قبل خلودك للنوم إذن؟»

«بالطبع.»

«إذن تصبح على خير يا غيدوين.» قالت وهي تتحاشى النظر اليه كي لا يشاهد الدموع في عينيها.

«تصبحين علي خير يا لندسي.» واغلقت باب المطبخ خلفها.

لن تعود الأمور إلى سابق عهدها. في هذا البيت الصغير. مهما حدث في المستقبل، سواء استعاد غيدوين ذاكرته أم لا، فهو سيبقى دائماً هنا معها كذكرى.

قد تبيع المكان... لكنها ابعدت هذه الفكرة حتى قبل التعمق بها. فقد كانت تعلم ان الأيام التي قضتها مع غيدوين هنا هي أسعد ايام حياتها. وكيف لها ان تفترق عن مسرح هذه الذكريات.

استيقظت صباح اليوم التالي على صوت محراث بوب، نهضت من السرير وجدت أشعة الشمس تغمر المكان فيما الغيوم البيضاء متناثرة في السماء، كان المحراث يشق طريقه عبر الطريق الطويل الذي يصل إلى حديقتها ملقياً الثلج على جانبيه باقترابه من البيت.

وضعت لندسي رداءها السميك عليها وفيما هي تفعل ذلك سقطت ساعتها على السرير.

«تباً.» تمتمت وهي تضعها بيدها مجدداً وتقفلها: «سأصلحك، سأصلحك.»

اثناء ذلك وجدت ان الساعة قد تجاوزت التاسعة صباحاً، هذه المرة الأولى لها التي تستغرق بالنوم هكذا... فيما فتحت باب غرفة نومها سمعت صوت الرذاذ داخل الحمام فادركت ان غيدوين قد استيقظ قبلها. كان المطبخ مرتباً ورائحة القهوة الطازجة تعبق بداخله. كانت الطاولة معدة لشخصين والكراسي الهزازة قرب المدفأة... وقد وضع غيدوين سترته على أحدهما.

تسارعت نبضات قلب لندسي بألم. إذن فإن غيدوين يستعد للرحيل، أهو متلهف لذلك؟ أم ان شعوره كشعورها... ان هذا الافتراق القسري بينهما يؤلمه ويتعسه كما يفعل بها؟

سمعت صوت المحراث يتوقف قريباً من بابها. لا بد أن عامل بوب سيطرق بابها الآن للاطمئنان عليها في وحدتها...

حينها سيكتشف انها لم تكن بمفردها، فيما صعقها هذا الإدراك فتح باب غرفة الحمام وظهر غيدوين بثيابه الخفيفة وشعره الرطب. حدقت لندسي به بذهول فيما شق صوت طرق الباب الصمت وكأنها اصيبت بمس كهربائي قفزت من مكانها هاتفة: «ساعدني يا غيدوين... بسرعة أخرج سترتك من المطبخ فيما اهتم انا بهذه الصحون...»

قاطعها غيدوين بحيرة: «ما الأمر؟»

«اخفض صوتك.» همست بيأس وهي ترمي له سترته وتدفعه نحو غرفة النوم: «ادخل إلى هنا ولا تخرج حتى آتيك.»

«لكن ماذا...»

«قم بهذا فقط.» قاطعته بتوسل ودون انتظار رده اقفلت الباب بصرامة في وجهه وعادت إلى المطبخ، أبعدت الصحون الإضافية ووضعتها في الحوض ثم جرت احد الكراسي الهزازة إلى الزاوية. نظرت حولها برعب قبل ان تصيح: «أنا آتية.»

بفتحها باب المطبخ الخلفي وجدت أمامها ويليام بلايك المزارع الذي يعمل عند بوب.

«طاب صباحك يا آنسة.» قال ويليام وهو يبتسم لها:

«ارسلني بوب لتنظيف الطريق المؤدي إلى منزلك. انه مشغول هذا الصباح بواحد من عجوله واضطر لطلب الطبيب البيطري، هل كل شيء على ما يرام هنا؟»

اتكأت لندسي إلى الباب وقالت بابتسام مصطنع: «كل شيء على خير ما يرام يا ويليام، اشكر بوب نيابة عني وشكراً لك بدورك لفتح الطريق، اترغب باحتساء فنجان قهوة؟»

حبست انفاسها بانتظار رده متمنية ان يكون الرد سلبي.

«شكراً لك، لكن الأفضل لي الخروج لمتابعة عملي في المزرعة خصوصاً بانشغال بوب الحالي.» قال هذا ثم غادر وحذائه الضخم يطرق الأرض الخالية من الثلج الآن. وما هي الا لحظات حتى سمعت صوت المحراث يبتعد.

قالت وهي تتنفس الصعداء: «لو انه رأى غيدوين لكنت...»

«شعرت بالخجل؟»

استدارت لندسي وقلبها يقفز بين ضلوعها لسماعها الصوت خلفها مباشرة.

«أخفتني.»

وضع يداه في جيبي بنطاله وكان قد ارتدى ملابسه الآن وسأل: «عم كان كل ذلك؟ لست معتاداً على الاختباء في غرف نوم الفتيات وكأنني... هارب.»

سارت لندسي إلى حوض الغسيل، تناولت منه الصحون النظيفة ووضعتها على الطاولة مدركة ان غيدوين يراقب كل حركاتها بحيرة، صبت القهوة ثم اشارت إلى الطاولة.

قالت بتعب: «اجلس.»

«اولاً الشرح.»

«لا.» هزت رأسها وهي تجلس: «القهوة أولاً. فأنا بهذه اللحظة بحاجة للقهوة.»

كانت تشعر بقلة صبره اثناء احتسائهما القهوة وفور إنهائها لفنجانها سارع بحثها.

«حسناً؟»

تنهدت قائلة: «آسفة يا غيدوين فأنا أيضاً لم اكن راغبة بما فعلت لكن... لو اكتشف ويليام وجودك هنا وعرف اننا أمضينا ثلاث ليال هنا معاً بمفردنا لانتشر هذا الخبر في كل انحاء تورمور بدقائق ولتهشمت سمعتي إلى مليون قطعة.»

نهضت من مكانها لوضع قطعة خشب داخل المدفأة وحين التفتت وجدت غيدوين يحدق بها بتساؤل.

«سمعتك... أهي بهذه الأهمية بالنسبة لك؟»

«تقصد لدرجة ان اخفيك كاللصوص واصغر قيمتك؟» تابعت وهي تواجهه بتحدي: «اجل انها مهمة جداً لي، سبق واخبرتك كيف تصرف معظم سكان تورمور مع والدتي باكتشافهم زواجها السري وحملها...»

قاطعها وعيناه عليها: «وهل هؤلاء الاشخاص الذين انت قلقة بشأنهم سمعتهم نظيفة بدورهم؟ أو انهم مجرد مجموعة من المنافقين الثرثارين التافهين...؟»

قاطعته قائلة: «هذا لا يهم... ولا اتوقع منك تفهم هذا، فطريقة تربيتك... تختلف كلياً عن طريقة تربيتي وانا متأكدة من ذلك. جميعنا ينشىء وفق الطريقة التي يربى عليها. لا استطيع تغيير ما انا عليه، سمعتي مهمة جداً لي...»

«لكنك كنت تتجاوبين معي البارحة لو..»

«هذا أمر مختلف، لو فعلت لما عرف ذلك إلا انت وانا. ما كنت سأفكر به لاحقاً... كان شيئاً سأكون مسؤولة عنه شخصياً وشيئاً عليّ ان اعيش معه. سمعتي تتعلق بما يعتقده الآخرون عني. ربتني والدتي على مبدأ مفاده ان سمعتك هي الشيء الوحيد، الشيء الوحيد المهم الذي بإمكان الآخرين أخذه منك.»

نظر غيدوين اليها لفترة طويلة ولم تعرف ما كان يدور بخلده. ثم ألقى ظهره على الكرسي الهزاز وتابع النظر اليها وكأنه يراها للمرة الأولى.

«انت امرأة جميلة يا لندسي بالفور... ولك طريقة تفكير مميزة، لا اظنني سأنسى يوماً ما قلته لي الآن.»

ابتسم قليلاً قبل ان يتابع: «إذن... حين استعيد ذاكرتي سأستفيد من كلامك باكتشاف نوع السمعة التي حظيت انا بها خلال السنوات الثلاثين من عمري.»

نهض عن كرسيه ولاحظت حينها لندسي للمرة الأولى انه لا يستخدم العصا.

نهضت بدورها قائلة: «قدمك تحسنت كما يبدو؟»

«اجل انها بأحسن حال اليوم، لذا سأحضر بقية ثيابي واغادر. لو لم تكوني متلهفة للتخلص من ويليام بسرعة لسألته ايصالي على محراثه إلى حيث تعطلت سيارتي. اما الآن فعلي الذهاب إليها سيراً على الأقدام، أرغب بإلقاء نظرة عليها قبل الذهاب إلى أي مرآب للتصليح...»

«لن تسير إلى اي مكان.» قاطعته بحزم: «انا من سيقلك، ألم اخبرك ان لدي سيارة؟»

ضحك بمرح قائلاً: «لا، في الواقع لم تخبريني بذلك

فتصورت، انه بما انك تعيشين في هذا المكان المعزول هنا انك تتنقلين على دراجة أو ربما حصان...»

«لدي سيارة كاديلاك.» ردت مصححة: «وان اعتقدت انني سأتركك تتجول هكذا وانت فاقداً للذاكرة فقد اخطأت، سأقلك إلى مستشفى ريغمور في ايفرنس حيث سيعاينك الأطباء هناك فحصاً شاملاً، وان كان كل شيء على ما يرام بإمكانك السفر جواً من هناك إلى هيزو، بإمكانك الاتصال بفيللا ستونثورب من المستشفى وانا واثقة ان احدهم سيكون باستقبالك في المطار.» ثم لمعت عيونها فقد خطرت ببالها فكرة مفاجئة: «بإمكانك الاتصال بهم من هنا بحال عودة الخطوط الهاتفية...»

ندمت على اقتراحها هذا فور نطقها به.

اعلن غيدوين: «لا زالت الخطوط مقطوعة. جربتها حين استيقظت.»

«هذا ممتاز.» قالت في نفسها ثم بصوت عال تابعت: «في هذه الحالة بإمكانك الاتصال بهم من المستشفى. الآن سأذهب لارتداء ملابسي ولتحضير الفطور وبعدها سننطلق، ان شئت بمقدورك البدء بتحميص الخبز.»

غادرت الغرفة وذهبت للاستحمام ولم تصدق للحظات ان غيدوين بطريقه لمغادرة بيتها وحياتها للأبد.

لكن هل سيكون رحيله نهائياً؟ أم انه فور عودة ذاكرته اليه سيعود اليها كالعاصفة الهوجاء كي يقتص منها؟

بحال فعل فهي ستكون مستعدة لمواجهته هذه المرة. ستكون منتبهة وهذه المرة لن تفتح له بابها ابداً... لقد انفصلت كلياً عن الكساندر والآن ستنفصل كلياً عن غيدوين

وكل ما سيتبقى لها ذكريات ايامهما هنا معاً، ذكرى ستطويها الأيام ومرور الزمن. فكرت بيأس، رغم كل محاولاتها لإبقاء هذه الذكرى براقة لامعة ونابضة بالحياة.

• • •

«ستنتظرين هنا لحين أعود؟» سألها غيدوين فيما فتحت الممرضة باب عيادة الطبيب ووقفت هناك بانتظار دخوله.

ابتسمت لندسي له قائلة: «هيا ادخل، وحظاً سعيداً.»

سيعتبر هذا رداً ايجابيا، لكنها ولحظة إقفال الباب خلفه سارعت بالمغادرة متجاهلة نظرة الممرضة المندهشة لتصرفها هذا، اسرعت بالانطلاق بسيارتها وكانت خارج مدينة ايفرنس بعد حوالي نصف ساعة، ان الوصول إلى ايفرنس كان اطول مما توقعت صباحاً، فبوصولهم إلى المكان الذي يعتقد غيدوين بوجود سيارته الجاغوار فيه لم يشاهدا أي اثر للسيارة الفاخرة.

تمتم بحيرة: «هذا هو المكان.»

أجابته: «لكن الثلج كان يتساقط بغزارة والطرقات غريبة كلياً عنك. الأرجح ان هذا ليس هو مكان توقفك، قلت انك سرت على غير هدى لبعض الوقت قبل ان ترى اضواء منزلي أعلى التلة.»

ادركت انه غير مقتنع بكلامها... لكنه لم يجادلها حين اقترحت بتوسيع مدى بحثهما على أمل ايجاد سيارة الجاغوار، وهذا ما فعلاه وعيونهما تجول في الانحاء بترقب وبحث حثيث، لكن في النهاية باءت كل محاولاتهم بالفشل.

قالت لندسي في النهاية: «كل ما بإمكاننا القيام به. التبليغ

عن فقدان السيارة لحظة وصولنا إلى ايفرنس بامكاننا المرور بمركز الشرطة قبل ذهابنا إلى المستشفى.»

رد غيدوين بإحباط: «سنتوجه مباشرة للمستشفى فقد اخذت الكثير من وقتك حتى الآن. فور عودتي إلى المنزل سأتصل بالشرطة هاتفياً كي يبحثوا عنها، يوم هنا أو هناك لن يغيّر في الوضع شيئاً، لعل رافعة ما نقلتها إلى مرآب ليتم تصليحها، لذا يستحيل علينا البحث عنها بهكذا حالة. الأفضل لنا ترك الأمر برمته للشرطة.»

لم تجد فكرة تأجيل ابلاغ الشرطة عن فقدان السيارة فكرة جيدة لكنها حين لاحظت التعب المنعكس داخل عينا غيدوين قررت الامتثال لرأيه. كادت تنسى انه لم يتعافى كلياً بعد من الحادث الذي تعرض له، ولعله كان محقاً برأيه. فإن أراد الوصول إلى فيللا ستونثورب فهو يفضل الوصول إليه باكراً طبعاً دون تضييع الوقت في مراكز الشرطة. فهي تدرك كم تطول التحقيقات والاستقصاءات حتى ببلاغ بسيط عن اختفاء سيارة...

ثبتت الآن اصابعها على مقود القيادة وهي تفكر انها قد لا تعرف ابداً ما حل بسيارة الجاغوار أو ما كانت نتيجة فحوصات غيدوين الطبية في المستشفى وهي لن تتصل ابداً بغيدوين للاستفسار عن ذلك.

كان بإمكانها الانتظار لحين خروجه من عيادة الطبيب... لكن لعلها لم تكن لتجد بعدها فرصة أخرى للهروب والابتعاد عنه وهو كان قد قرر مسبقاً الاتصال بفيللا أهله فور مغادرته للعيادة.

ارتعشت بشدة، فحتى وهي تفكر بذلك ادركت عدم قدرتها

على مواجهة ذلك... الوقوف قربه فيما هو يحادث والدته هاتفياً... وتوقعت عودة ذاكرته له بكل لحظة مع كل كلمة ينطق بها... رؤية الاحترام الدافىء لها داخل عينيه يتحول إلى كره عميق وازدراء محتقر... انهمرت دموع لندسي عند وصول افكارها لهذا الحد ومسحتها بباطن يدها.

ما كان من أي مستقبل لها ولغيدوين معاً، كانت واثقة كلياً من ذلك وكانت واثقة من ذلك منذ البداية.

لكن اقتناعها عقلياً بذلك شيء وقلبياً شيء آخر.

مر اليوم التالي ببطء... ببطء شديد جعل لندسي تشعر بالملل والاضطراب غير المبرر للمرة الأولى في حياتها. بوجود يورغ والمذياع فقط لتسليتها وجدت نفسها تفكر بغيدوين متمنية لو كانت الظروف مختلفة بينهما، وكأنها تتمنى المستحيل...

لم يتم اصلاح هاتفها بعد لذا لم تستطع الاتصال ببوب وماريا، لم يعد اي شيء يثير اهتمامها الآن، حتى عملها لم يثر بداخلها أي حماس، عرفت ان عليها العودة إلى لندن بعد بضعة ايام، لأن لديها موعد تصوير مع داماريس مع بداية شهر كانون الأول (ديسمبر) لكن فكرة وجودها في المدينة ذاتها مع غيدوين وأيضاً مع الكساندر مع استحالة رؤيتها لأي منهما كانت تعتصر قلبها.

تنهدت واجبرت نفسها على إبعاد فكرها عن هذا والتركيز على ما كان يقوله المذيع عبر الراديو...

«... كما كنا ننقل لكم احدث التقارير من غريمستوك هايلي. بشأن المرأة العجوز التي تعرضت لإصابة خطيرة بسبب صدم سيارة لها وفرار صاحبها على الفور أثناء

العاصفة الثلجية الهوجاء ليلة الجمعة الماضية، لا زالت المرأة في حالة غيبوبة حتى الآن، لاحقت الشرطة السيارة التي صدمتها والتي وجدت مهجورة في مرآب في ايفرنس، السيارة من نوع جاغوار ويمتلكها غيدوين ستون وهو احد اهم وأثرى رجال الأعمال في لندن. تتهم الشرطة السيد ستون بترك مكان الحادث دون التوقف لمساعدة المرأة التي صدمها. وستون حر طليق حالياً، كما يبدو ان المتهم لا يملك اي حجة غياب تلك الليلة بالذات كما وأبلغ محامي غيدوين ستون بيتر تافستوك الشرطة انه فيما كان موكله يقود سيارته على طريق فرعي في المرتفعات الاسكتلندية انزلقت السيارة وانتهى بها الحال في خندق جانبي على طرف الطريق. يدعي ستون الذي يعاني من إصابة في الرأس انه تاه في العاصفة لبعض الوقت وهو مذهول وشبه واع قبل ان يأخذه احد السكان المحليين إلى منزله ويداويه. وفقاً لمحاميه، لم يستطع ستون إعطاء أي تفاصيل عن هوية المرأة التي ساعدته أو عن موقع ذلك المنزل، ودون هذه المعلومات...»

وبذهول من اصيب بصاعقة كهربائية اطفأت لندسي الراديو، غيدوين؟ متهم بقضية دهس أحدهم والهروب؟ لو لم تكن مذهولة من هذا الخبر لقهقهت بصوت مرتفع. فغيدوين الذي تعرفه رجل نزيه جداً، ما كان ليترك مصاباً لو عرف...

تجمدت للحظات أخرى باستيعابها كل ما سمعته عبر الراديو، لا شك ان غيدوين صدم تلك المرأة في ذلك التاريخ، يوم قضى الليل هنا في بيتها.. معها...

نهضت فوراً عن الكرسي ووضعت فنجان القهوة على الطاولة فيما هي تحدق امامها دون ان ترى شيئاً.

لا بد ان احدهم سرق سيارة غيدوين. وفيما كان يتسكع بها صدم تلك المرأة... في هايلي غريمستوك، فهي تذكر سماعها لهذه الحادثة عبر الراديو صباح اليوم التالي لوجود غيدوين في منزلها، ولم يخطر ببالها اطلاقاً بالطبع ان السيارة المقصودة بهذه الحادثة هي سيارة غيدوين.

سحبت نفساً عميقاً قبل ان تقرر ان هناك شيئاً واحداً للقيام به. كانت هي نفسها الشاهد لغياب غيدوين. كان قد قضى تلك الليلة معها، في غرفة نومها، معزولاً مئات الأميال عن أي مكان متحضر، شعرت بحنجرتها تجف، بالطبع هو يعرف مكان منزلها... ألم تخبره انه في تورمور؟ لندسي بالفور من تورمور.

كان ليبرىء نفسه بهذه الكلمات الأربع فقط... كلمات كانت لتحضر الشرطة إلى بابها بظرف ساعة، كلمات كانت لتثبت براءته.

كلمات كانت لتنتشر في البلدة كانتشار النار في الهشيم. عارضة أزياء من لندن تخفي رجل اعمال معروف... هذا ما كانوا سيقولونه وعرفت كما يعرف غيدوين بالتأكيد... ان هذا سيحطم سمعتها. لا امرأة محترمة قد تفعل مثل ذلك...

نبح يورغ بصوت منخفض معيداً لندسي إلى أرض الواقع مجدداً.

«لا بأس يورغ.» همست وهي تداعب رأس كلبها الوفي: «لا بأس.»

لكن هذا ليس عدلاً... ولن يكون كذلك الا حين تكلم محاميه السيد بيتر تافستوك هذا وتدلي إليه بإفادة رسمية تبرىء ساحة غيدوين.

نظرت إلى ساعتها، تحتاج إلى نصف ساعة كي توضب اغراضها في البيت، ومن ثم ستترك يورغ في مزرعة بوب...

لن تتوقف في طريقها جنوباً للاتصال بالمحامي واعلامه بقدومها كي لا تسنح له الفرصة لاطلاع غيدوين على ذلك. ستتوجه مباشرة إلى مكتبه أو لربما إلى منزله في حال كان مكتبه مغلقاً بوقت وصولها إلى لندن. باسم عائلته الغريب تافستوك سيكون من السهل ايجاد رقم هاتفه وعنوانه في دليل الهاتف. وبعد ذلك ستدلي بإفادتها امامه وتوقعها وبقراءة الشرطة لهذه الإفادة سيتم اسقاط التهم عن غيدوين.

لم تكن متأكدة ان الأمور ستسير هكذا قانونياً لكن هذا ما اعتقدته.

«لا خيار آخر امامي يا يورغ.» قالت ويورغ يتمرغ قرب اقدامها وكأنه يقول، هذا ما عليك فعله يا لندسي. لم تعرف لندسي سواء اكان هذا حقاً ما عليها فعله أم لا، لكن لم يكن من خيار آخر امامها. هذه مسؤوليتها وستؤديها مهما كانت العواقب المترتبة على ذلك.

الفصل التاسع

كان بيتر تافستوك يعيش في منزل فاخر في مورسون، وكان الظلام قد سيطر بوصول لندسي امام المنزل بسيارتها بينما ضوء المدخل ينير الطريق عبر الدرجات الامامية، كما سطع ضوء آخر من نافذة ضخمة إلى يمين المدخل، لعله ضوء غرفة الجلوس؟

ان كان الثلج قد تساقط هنا فلا اثر له الآن، فكرت لندسي ونبضات قلبها متسارعة فيما كانت تركن سيارتها وتترجل منها.

اعتقدت انها شاهدت طيف ما يمر في غرفة الجلوس اثناء صعودها درجات المدخل ثم تم اطفاء الضوء بعد ذلك، شدت سترتها حولها وارتعشت من البرودة الشديدة. هل وصلت متأخرة؟ هل سيتجاهل سكان المنزل، أو الشخص الذي لا يزال ساهراً، رنين الجرس بمثل هذا الوقت من الليل؟

شعرت بالحيرة الشديدة بينما يدها تتردد بضغط الجرس، هل فعلت الصواب بهذا؟ أم انها تتصرف بطريقة لا منطقية؟ ايفترض بها المغادرة الآن، التوجه لأقرب مركز شرطة؟ ألم يجدر بها التوجه إلى هناك قبل الآن أصلاً؟

فجأة اصبح بيتر تافستوك هذا شخصاً مخيفاً... شخصاً لا تجرؤ على لقائه. مركز الشرطة، إلى هناك ستذهب... لكن رغم إبعادها نيدها عن الجرس واستدارتها للمغادرة

سمعت صوت القفل يفتح ثم فتح الباب، ظهر عند عتبة المنزل امرأة في الثلاثينات تقريباً بجسد رشيق يتهادى في ثوب اخضر زمردي من الساتان الثمين.

نظرت المرأة اليها بدهشة واستغراب، ثم قالت: «أجل؟ كيف اساعدك؟»

«هل هذا... منزل بيتر تافستوك، المحامي؟» سألت لندسي بصوت يشوبه الاضطراب.

ردت المرأة: «اجل. انه زوجي.»

لم تكن عيناها عدائيتان لكنهما كانتا متسائلتين وهي تتابع: «لكن الوقت متأخر وقد خلد للفراش.»

«آسفة.» قالت لندسي بارتباك: «آسفة لإزعاجي لك. سوف... سوف أذهب إلى مكتبه... في الصباح...» واستدارت لتغادر لكن المرأة اوقفتها قائلة: «انتظري لحظة من فضلك، افترض انك تريدين زوجي في أمر هام والا لما أتيت إلى هنا في منتصف الليل هكذا، أتودين اطلاعي على هذا الأمر...؟»

هزت لندسي رأسها: «لا، افضل الانتظار والتحدث مع زوجك شخصياً، لكن...»

«ما الأمر يا شانتال؟ من هناك؟»

فيما قاطعها صوت رجل، نظرت لندسي خلف اكتاف المرأة لترى رجلاً في الاربعينات يرتدي رداء النوم.

«انه لك يا حبيبي.» قالت المرأة والدقة تنعكس داخل عيناها وهي تنظر لزوجها.

قال وعيونه مركزة على لندسي: «بم اخدمك؟»

«اسمي لندسي بالفور وقد جئت للتو من اسكتلندا. سمعت

النبأ في الراديو هذا الصباح عن موكلك... غيدوين ستون. جئت لأخبرك ان لا علاقة لغيدوين بحادثة صدم العجوز وتركها، املك البيت الذي قصده موكلك طلباً للمساعدة بعد سقوط سيارته في الخندق.» رفعت رأسها وعيناها تتحديان انتقاده لها أو حكمه عليها: «لقد نام غيدوين الذي كان مصاباً بشدة في غرفتي ليلة وقوع الحادثة. لذا أرغب بإعطائك إفادة رسمية بذلك وتوقيعها بأسرع وقت ممكن.»

«آه... غيدوين؟ انها من اخبرك بشأنها يا بيتر.» قالت المرأة بذهول شديد.

«شانتال.» قال المحامي ووجدته لندسي يمسك بذراعها برقة ويدخلها إلى منزله: «تبدو الآنسة بالفور بحاجة لفنجان من القهوة، اتمانعين...؟» تبادل الرجل وزوجته نظرة لم تستطع لندسي فهمها، لكن الزوجة فهمت بالتأكيد، فقد طأطأت رأسها واضاءت بعض الأضواء قبل ان تغادر القاعة دون التفوه بكلمة أخرى.

«دعيني آخذ عنك سترتك.» قال المحامي وبعد تعليقها على المشجب تابع: «والآن لندخل إلى مكتبي.»

«سيد بيتر تافستوك...» بدأت لندسي وهي تسير في الاتجاه الذي أشار إليه.

قاطعها بقوله: «بيتر فقط.» ادخلها إلى مكتبه والذي كان في القسم الخلفي من المنزل: «وهل لي بمناداتك لندسي.»

«طبعاً.»

«تعالي واجلسي يا لندسي، قضيت وقتاً طويلاً على الطريق لحين وصولك... لربما كل المساء؟ لا بد انك مرهقة.»

ابتسمت لندسي وهي تجلس في المقعد الجلدي الوثير

قرب المدفأة: «اعترف ان ساقاي منهكتان لكن هذا بسبب الاضطراب بعض الشيء كما اظن. اردت التوجه إلى مكتبك لكن الطرقات كانت مزدحمة واستغرقت الرحلة وقتاً اكثر من المتوقع... وقلت بنفسي طالما قطعت كل هذه المسافة وبما انني ارغب بتبرأة ساحة غيدوين بأسرع وقت ممكن فقد بحثت عن عنوان منزلك في دليل الهاتف و...»

لم يجلس المحامي بل ظل واقفاً قرب المدفأة ويداه في جيبي ردائه.

قال بهدوء: «لم يرغب غيدوين بتوريطك.»

«اخبرك عني؟ اقصد عمن اكون...؟»

«كلا لم يفعل، لم يفصح عن هويتك أو عن موقع بيتك... ولا حتى لي شخصياً، لكنه اخبرني بعدم نيته بتحطيم سمعتك واستغلالك...»

قاطعته بصدق: «هذا لا يسمى استغلالاً.»

«اعرف، اخبرته انه يتصرف بحماقة لكنه كان مصمماً.»

وتابع المحامي بابتسامة خفيفة: «النزاهة اسم غيدوين الثاني... لطالما كان كذلك.»

استدار بيتر نحو الباب الذي فتح وظهرت شانتال حاملة صينية القهوة.

قالت: «تفضلا القهوة.» لاحظت لندسي ارتفاع حاجبي بيتر وادركت ان الزوجين يتفاهمان دون الحاجة للكلام. لكن ما الذي كانا يقولانه؟ هذا ما قد لا تعرفه ابداً.

لاحظت وجود فنجاني قهوة فقط، إذن فشانتال، لن تشاركهما.

«شكراً لك يا حبيبتي.» قال وتناول الصينية منها، ألقت

شانتال نظرة فضولية على لندسي وهي تبتسم بودية قبل مغادرتها الغرفة.

فور اقفال الباب سكب بيتر القهوة وقدمها للندسي ثم اخذ فنجانه وذهب للجلوس على المقعد الجلدي الآخر.

«كنت بالغة اللطف وتكبدت العناء الكثير يا لندسي وأنا اشكرك على ذلك باسم موكلي، وما سأقوله لك الآن لا يقلل اطلاقا مما فعلت بقيادتك كل تلك المسافة إلى هنا واستعدادك للإدلاء بإفادة رسمية علنية، اقدر كثيراً موقفك هذا كما سيقدره غيدوين دون شك. لكن...»

انحنى للأمام قليلاً وعيناه تعكسان الأسف الذي يشعر به: «حدث شيء هذا المساء بدّل مسار القضية برمتها تبديلاً جذرياً. لقد استيقظت المرأة العجوز المصابة من غيبوبتها وتمكنت من تحديد هوية الشخص الذي كان يقود سيارة الجاغوار اثناء حصول الحادث. وكما يبدو فهو قد توقف بعد صدمه لها وهرع إلى حيث كانت ملقاة على الأرض وحيث كانت لاتزال في وعيها الكامل لكنه لم يلبث ان شعر بالذعر وفر مسرعاً فيما غرقت هي في غيبوبتها جراء الاصطدام. انه شاب من منطقة إيفرنس يدعى بيلي غلامور سبق ان عانى من مشاكل مع الشرطة وكان خارج السجن بكفالة. اعتقلته الشرطة الآن وقد اعترف انه وجد سيارة الجاغوار هو وبعض الاصدقاء في الخندق... بعد سقوطها فيه بفترة قصيرة كما يبدو. وتمكنوا من سحبها وكانت نية غلامور قيادتها للجنوب وبيعها هناك.»

«إذن فقد تم إسقاط التهم ضد غيدوين.» قالت لندسي وهي تسترخي في مقعدها بارتياح.

«اجل...» رد بيتر ثم نهض من مكانه: «هلا عذرتني للحظة يا لندسي؟ تفضلي بتناول المزيد من القهوة لنفسك ان شئت، سأعود في الحال.»

غادر الغرفة مغلقاً الباب خلفه.

إذن... فكرت لندسي وهي تغمض عينيها وقد سيطر عليها الشعور بالتعب والنعاس. الآن قد ان زال اضطرابها وتوترها... فغيدوين بأمان، انه بأمان دون مساعدتها مع انه كانت ستساعده لو احتاجها. لكن اي نوع من الرجال يكون مستعداً للتضحية بنفسه فقط لإنقاذ سمعة امرأة بالكاد يعرفها؟ انه نوع الرجال الذي وقعت بغرامه، انه ذاك النوع من الرجال، الرجال الذي سرق قلبها...

«لندسي.»

كان صوته بالغ الرقة لدرجة انها شعرت بسماع هذا الصوت في حلمها. لكن حين شعرت بيده تهزها بلطف ادركت انها لم تكن تحلم، فتحت عينيها فوراً ونظرت للأعلى فوجدت وقلبها يكاد يقفز من بين ضلوعها... انه امامها، رجل احلامها بذاته.

كان شعره مصففا كالعادة ونقنه بحاجة للحلاقة وكان يرتدي الكنزة الزرقاء التي أهدته إياها وبنطالاً رمادياً. شعرت بروحها تذوب داخلها من شدة وعمق حبها له واعتراها الارتجاف.

«غيدوين!» هتفت بعدم تصديق وهي تنهض عن كرسيها وقد طار النوم من عينيها: «كيف عرفت...؟»

لكن حتى اثناء طرحها هذا السؤال ادركت الجواب، طبعاً انها تلك الرسائل الصامتة بين بيتر وزوجته، أولاً طلب منها

بصمت الاتصال بغيدوين واستدعائه على الفور. ثم سألها بحاجبيه ان كان الاتصال قد تم فهزت هي رأسها بطأطأة بسيطة لاحظتها لندسي حينها ولم تفهم معناها.

«لماذا هربت وتركتني وحدي في المستشفى؟» قال وهو يمسك بيديها: «حين خرجت واخبرتني الممرضة بمغادرتك شعرت...انني اصبحت وحيداً.»

وحيداً، شعرت بالدموع تخنقها، اليس هذا ما شعرت به هي أيضاً.

«آسفة.» قالت بصوت مبحوح: «ظننت انه من الأفضل مغادرتي سريعاً، فأنا اكره الوادع.»

«لم أرد وداعك. اردت إجراء الترتيبات لنا لنتقابل ثانية إذاً...» وضع يديه على كتفيها وتابع: «لست متزوجاً يا لندسي.» ولمع الفرح، الغبطة والسعادة في أعماق عينيه وهو ينظر اليها نظرة حب عميقة جعلتها تشعر وكأنها تطير في الفضاء.

تابع بهدوء: «لا حواجز الآن بيننا يا حلمي الجبلي الجميل.» لكن هناك العديد من الحواجز والعراقيل وبأية لحظة... بأي يوم... قد تتذكرها كلها، فكرت لندسي بتأوه. همست: «الطبيب الذي أجرى لك الفحوصات...»

«لاخطب بي... باستثناء فقدان الذاكرة بالطبع. بعضاً منها وليس بأكملها، فكما ترين لقد عادت إلي معظم ذاكرتي الآن...»

انتفض قلب لندسي بذعر لكن رغم شهقتها تابع غيدوين: «لكن بغرابة، الجزء من ذاكرتي المتعلق بحوالي ما قبل شهر من الحادثة لازال مفقوداً، حين اتهمتني الشرطة بحادثة

صدم المرأة والهروب اعادت هذه الصدمة ذاكرتي للعمل ثانية... لكن لازال هناك القسم المفقود... وقد ملأ لي والداي الثغرات قدر المستطاع. تعرض والدي لنوبة قلبية مؤخراً لكنك بالطبع تعرفين ذلك، فقد ذكر ذلك في رسالته للمحامي، انه في المنزل الآن وصحته جيدة لحسن الحظ. لكنك لا ترغبين بسماع ذلك، لا...؟»

عيناه كانت اجمل حتى مما تذكر، بحار زرقاء داكنة تغرقها في لجج ممتعة تشل تفكيرها وتبعدها عن المنطق. «كنت مستعدة للقيام بهذا لأجلي يا لندسي؟ تتقدمين بإفادة رسمية للشرطة؟ وتخاطرين بسمعتك؟»

«وانت كنت مستعداً للمخاطرة بدخول السجن كي تتحاشى إخبار الشرطة عن قضائك تلك الليلة في بيتي... كيف لك بمقارنة ما كنت انوي القيام به بما فعلت لأجلي...؟»

امسك بيدها برقة متناهية وكأنه يخشى عليها قوة مشاعرها، تساءلت مرة ان كان بالامكان الشعور بهكذا سعادة، انها تشعر وكأنها في الحلم فعلاً.

«لم استطع التملص... لكن لكم كنت مشتاقاً لمحادثتك. حاولت مراراً وتكراراً الاتصال هاتفياً بك لكن كان خطك معطلاً، يسعدني انك هنا، الآن لا شيء يمنعنا من البقاء معاً، لا سبب يدفعنا للافتراق، هل تأتين معي الليلة؟ هل تأتين معي... الآن؟»

كادت ان تصرخ: «اجل.» بكل ذرة في كيانها. لكنها ادكرت انها إذا تبعت نداء قلبها فإن ألمها سيكون مضاعفاً حين يستعيد ذاكرته بأكملها وحينها لن تتمكن من تحمل هكذا ألم. فالوضع حالياً سيء كفاية، الأفضل ان يتم

الانفصال بهدوء الآن... كما سبق وخططت. قاطع صوت فتح الباب افكارها وادارت رأسها سريعاً صوب الصوت ويد غيدوين لاتزال تمسك يدها، وارتاحت لرؤية بيتر وشانتال لكن غيدوين لم يفلت يدها.

«هل كل شيء على ما يرام؟» سأل بيتر وهو ينقل بصره بينهما.

رد غيدوين بابتسام: «كل شيء بخير.»

«جيد.» قال بيتر برضى، وادركت لندسي ان العلاقة بين غيدوين وبيتر ليست مجرد علاقة بين محامي وموكل بل بين صديقين مقربين.

قالت شانتال باهتمام: «لندسي، ماذا ستفعلين الآن؟ اتخططين للعودة بسيارتك إلى اسكتلندا غداً؟» نظرت إلى زوجها الذي طأطأ رأسه موافقاً وقد فهم ما ستسأله لاحقاً وتابعت: «مرحب بك لقضاء الليل هنا، لدينا الكثير من الغرف الإضافية التي...»

«لا داع لذلك.» قاطعتها لندسي على الفور: «شكراً. جزيلاً لك. فأنا لدي...» وخنقت لندسي كلمة شقة بالبلدة قبل فوات الأوان وتابعت: «لدي... خطة. رأيت فندقاً صغيراً في ضواحي مورسون، سأذهب بسيارتي إلى هناك وأستأجر غرفة...»

كان بيتر هو من قاطعها هذه المرة قائلاً: «غيدوين؟ اتظن هذا تصرفاً حكيماً؟ بمثل هذا الوقت المتأخر؟ لا تعجبني فكرة...»

«لا تقلق يا بيتر.» قاطعه غيدوين بابتسام: «ساعتني لندسي، بإمكانها استخدام شقتي.» نظر إلى الساعة

الجدارية الخشبية الضخمة فوق المدفأة وتابع: «آه، انظروا إلى الوقت! سنغادر الآن ونترككما لتخلدا للنوم.»

للحظة شعرت لندسي بالرعب، كيف ستتخلص من هذا الوضع؟ ثم خف توترها قليلاً، فلا بد ان غيدوين وصل بسيارته وهي لديها سيارتها، ان اصر على ركوبها سيارته فستلح على الذهاب بسيارتها والسير خلفه، وفور وصولها إلى الطريق العام ستتحاشى أولاً السير خلف سيارته مباشرة وحين تأتي الفرصة المناسبة ستدخل طريقاً جانبياً ما وتضيعه.

لم يستغرق وداعهما لبيتر وشانتال مطولاً وفور اغلاق باب المنزل خلفهما سارا معاً إلى حيث تتوقف سيارتيهما، لاحظت لندسي توقفهما معاً بالطريقة ذاتها قرب مطعم اليزابيت بدا وكأن ذلك حدث قبل وقت طويل.

«سنستقل سيارتي...»

بدأ غيدوين كلامه لكن لندسي قاطعته فوراً وبهدوء: «افضل أخذ سيارتي.»

«لا بأس.»

ذهلت لسهولة اقتناعه بحجتها لكنها شعرت بالارتياك حين تابع قائلاً: «بإمكاني العودة بسيارة أجرة لأخذ سيارتي.»

هل يقصد انه سيأتي معها بسيارتها؟

«هل تفضلين ان اقود أنا؟»

اجل، هذا ما قصده.

بالكاد شعرت لندسي بالهواء الجليدي الذي لفح وجهها مبعثراً شعرها في كل اتجاه، لم تستطع تمييز قسمات

وجهه في الظلام لكنها رأت بريق عينيه والابتسامة الخفيفة على ثغره، يبدو ان لا خيار آخر امامها، فهما سيذهبان معاً، انها بالطبع لن تتمكن من التركيز على القيادة وهو إلى جانبها لذا الأفضل لهما ترك هذه المهمة له.

«اجل، شكراً لك.» قالت بصوت مخنوق: «اقدر لك ذلك، فقد نلت كفايتي من القيادة لهذا اليوم.»

انطلقا فوراً والسيارة تخترق الشوارع وتركيز غيدوين منصباً على الطريق امامه، أما افكارها هي فكانت تدور حول محور واحد، ما السبيل اليها للتخلص من هذا الوضع الذي حشرت به؟ طريقها الوحيد للخلاص هو بالابتعاد فوراً عنه في لحظة المناسبة.

هذا لن يكون سهلاً لكنها لا بد وأن تجد لحظة تبقى فيها بمفردها، فرصة تمكنها من الهرب، وبحال عدم وجود هكذا لحظة أو هكذا فرصة فعليها ايجاد هكذا فرصة. فالهروب إجباري وعليها القيام به.

صممت على ذلك تمنت كي تؤاتيها الشجاعة والقوة لتتمكن من القيام بذلك...

لم تكن شقة غيدوين كما توقعت، اعتقدتها شقة فاخرة في أحد اهم احياء لندن، بواجهات زجاجية ضخمة وعلى علو مرتفع، لكنها عوضاً عن ذلك كانت شبه فيللا صغيرة منزوية في بلغرافيا محاطة بالاشجار التي تخفيها قليلاً عما حولها. ومع ان اصوات السيارات على الطريق القريب كانت تسمع وهما يسيران في المدخل، الا انه فور دخولهما المنزل خفت حدة الاصوات بدرجة كبيرة.

أشعل غيدوين ضوء البهو وبعد ان اعاد لها مفاتيحها

ووضعتها في حقيبتها تناول سترتها الحمراء وعلقها على المشجب.

«انت لم تكن هنا في هذا المنزل حين اتصلت شانتال بك، أليس كذلك؟» سألت لندسي ذلك وهي تنطق أول ما خطر على بالها كي تكسر الصمت الذي كان يزيد من اضطرابها: «فلو كنت هنا لما استطعت الوصول بتلك السرعة إلى منزل بيتر.»

«هذا صحيح.» قال وهو يشعل الحطب في المدفأة: «كنت في ستونثورب، وهو يبعد دقائق قليلة عن منزل بيتر وشانتال.»

«الم تستهجن والدك أو والدتك أمر مغادرتك السريعة بمثل هذا لوقت؟»

«كانا يغطان بالنوم، لذا تركت لهما ملاحظة انني سأنام الليلة هنا.»

«كنت... واثقاً من موافقتي؟»

أجاب بهدوء: «لا لم يخطر ذلك ببالي إطلاقاً.»

اقترب منها ممسكاً بيدها وقادها إلى غرفة أخرى إلى يمينها واشعل الضوء وهو لا يزال ممسكاً بيدها. قائلاً: «لكن حتى لو اصريت على عدم الموافقة، لأتيت انا لقضاء الليلة هنا. كنت سأحتاج للبقاء وحدي حينها.»

نطق كلماته بحرارة جعلت لندسي ترتعش، وسحبت اصابعها من يده بحجة تصحيح شعرها وابتعدت بضع خطوات عنه قبل ان تقول: «يا لها من غرفة جميلة.»

مررت يدها على الكنبة المغطاة بقماش نيلي تتخلله الخطوط الصفراء القليلة والتي وضعت عليها المساند

الصفراء والخضراء، ثم تحركت للمس الشمعدان الفضي الرائع على الطاولة المجاورة قبل سيرها نحو المدفأة وجلوسها على أحد الكراسي الخشبية الضخمة والمحفورة بهندسة رائعة.

«انها غرفة لرجل بوجود هذه الكراسي المريحة والكنبات، وذاك المقعد الضخم، وذاك المكتب الانبوسي البراق لكنني... اشعر بلمسة المرأة فيها.»

كم امرأة زارت هذا المكان قبلها؟ سألت لندسي نفسها وهي تشعر بإحباط لما يحركه هذا السؤال من ألم، وغيظ بداخلها. لا يفترض بها الاهتمام لهذا الأمر، فتلك النساء من ماضيه... تماماً كما عليها عدم الاهتمام لنساء مستقبله. فلا مبرر لها لهكذا شعور...

قال وهو يحدق بها: «والدتي لورا مصممة ديكور. انها المرأة الوحيدة التي دخلت هذا المكان، هي بالإضافة للسيدة سبراي المسؤولة عن تنظيف الشقة والاهتمام بها، لذا لا تخشي من ايجاد عطر نسائي ما أو مناديل نسائية حريرية في مكان ما هنا.»

شعرت لندسي بازدياد التوتر بينهما، لقد آن الوقت لها للتحرك.

قالت بارتباك: «اظنني بحاجة لشراب ماء، أشعر وكأن رأسي يدور، لقد حدث الكثير اليوم.»

«طبعاً، ماذا ترغبين ان تشربي لدي كافة انواع العصير.»

سارعت للقول: «لا، لم اقصد ذلك. اريد فقط كوب ماء من فضلك.»

حينها سيضطر لدخول المطبخ وستتسلل هي خارج المنزل.

«رغباتك أوامر.» قال ذلك بخفة وهو يتجه نحو المطبخ: «سأعود تواً، لا تذهبي بعيداً هذه المرة.»

اخذ يصفر لحناً ما وهو يغادر الغرفة فسارعت لندسي فور إغلاق الباب خلفه إلى باب غرفة الجلوس متجهة إلى البهو، كانت يدها لا تزال على قبضة الباب حين ظهر غيدوين فجأة مجدداً داخل الغرفة.

«أتريدين مياهاً معدنية أم...» توقف لرؤيتها قرب الباب وتابع: «اتبحثين عن المرحاض؟»

تقطعت انفاسها وهرب اللون من وجهها وهي تقول: «لقد اخفتني... أجل... أبحث عن المرحاض.»

«عليك استخدام حمام غرفة النوم الرئيسية آخر السلالم فوالدتي تعيد تجهيز الحمام الآخر هنا، قال بصوت عادي: «هل تريدين المياه المعدنية أم الغازية؟»

أجابت: «معدنية.»

«حسناً لا تتأخري، سأكون هنا بانتظارك.»

«شكراً.»

رددت والخيبة تحتدم بأعماقها وهي تسير نحو المرحاض المقصود، لا فرصة لها بالهروب الآن... على الأقل ليس طالما باب غرفة الجلوس مفتوحاً، فلا يمكن لها التوجه إلى البهو دون ان يراها غيدوين، كل ما بمقدورها القيام به حالياً، هو ان تنتظر فرصة أخرى.

كانت غرفة النوم الرئيسية كبيرة فيها نافذتين تطلان على جهتين مختلفتين فيما جالت لندسي بنظرها في انحاء

الغرفة بحثاً عن باب الحمام. تنهدت بحزن، هذه دون شك غرفة نوم غيدوين، فعلى المشجب هناك بيجامته ورداءه وعلى طاولة الزينة حاجياته من عطور رجالية وحفنة دراهم ومحفظته الجلدية ودفتر شيكاته...

شعرت وكأنها تتطفل على المكان فأشاحت بنظرها وسارت على الموكيت الأخضر الزيتوني الكثيف إلى الباب الصغير في طرف الغرفة، وكانت الوان الحمام مماثلة لألوان غرفة النوم. الأخضر الداكن والأبيض العاجي، والعديد من المناشف الخضراء موضوعة على الرف بترتيب، وحوض الجاكوزي الأخضر الفخم كان يتوسط المكان بصنابيره الذهبية الفاخرة، استدارت ووجدت نفسها بمواجهة مرآة ضخمة فوق المغسلة فتوقفت محدقة بالصورة المنعكسة فيها.

كأن هذه المرأة المحدقة بها عبر المرآة غريبة عنها، فهي لم تعد تعرف نفسها. إلى ان التقت بغيدوين ستون كانت تعرف تماماً ما تريده من حياتها.

كانت ستتابع العمل لدى داماريس لحين جمعها المبلغ الكافي لشراء منزل في الجبال في منطقة تورمور. وكانت لتحوله إلى فندق صغير ومنتجع سياحي يصلح لكافة فصول السنة. لم يكن من مكان في خططها للرجال... لأنها وبكل بساطة لم تلتق بالرجل الذي يدفعها للتفكير بالزواج.. إلى ان التقت بغيدوين.

لقد قلب حياتها رأساً على عقب ناثراً كل احلامها بفوضى عارمة. تناولت فرشاة من حقيبتها وافكارها تتضارب، ثم بدأت تسرح شعرها. كانت تدرك انها بالطبع تحاول كسب الوقت متحاشية لحظة العودة إلى غرفة الجلوس حيث ينتظرها.

ظلت يدها تسرح شعرها فيما هي تائهة بأفكارها، تراقب محتويات الحمام وأشياء غيدوين الخاصة كفرشاة اسنانه ومعجون الحلاقة ورداء الحمام المعلق على مشجب خلف الباب وقلبها يعتصر ألماً لشدة حبها له ولضرورة خروجها من حياته.

فاحتفاظها بذكريات حبه لها ونظراته المليئة بالحنان، شيء يمكن ان يحييها طيلة فترة بعادها عنه لاحقاً لكن ما لا يمكن لها تصوره تحول هذا الحب إلى كره فور عودة ذاكرته كاملة اليه، وظلت نظرة الاحتقار والإزدراء التي رماها بها في مطعم اليزابيت ماثلة امام ناظريها، هي لن تتمكن أبداً من كشف حقيقة العلاقة التي تربط بينها وبين الكساندر والده. فهذا من حق الكساندر وحده حتى وان اطلعه الكساندر على الحقيقة... فهو لن يغفر لها ولن تستعيد غيدوين ستون الذي كان في بيتها والذي ينتظرها في الأسفل الآن ابداً... عادت للواقع على وقع طرقات متتالية على باب الحمام. شعرت لحظتها بالألم في رأسها لشدة استخدامها لفرشاة الشعر.

«هل أنت بخير؟» سمعت صوت غيدوين القلق يستفسر من الخارج.

«قالت بارتباك: «أجل، أنا قادمة.» ولأن صوتها بدا بارداً وقادما من البعيد، فقد سعلت متابعة: «سأكون معك بعد دقيقة.»

لم تنتظر لسماع رده بل فتحت صنابير الماء في المغسلة واخذت تغسل يديها ثم جففتهما قبل ان تتناول حقيبتها وتستدير.

حين جذب انتباهها انعكاس صورتها في المرآة امامها، اختفى كلياً الشحوب الذي سبق وشاهدته على وجهها ليحل محله الاحمرار الوردي ولتلمع العينان البنيتان ببريق غامض، ببريق المحبين...

اخذت نفساً عميقاً وابتعدت عن المرآة ثم فتحت الباب. في البداية لم تنتبه لغيدوين واعتقدته قد سبقها إلى غرفة الجلوس، لكن صوت حركة خفيفة جعلها تلتفت إلى يسارها لتجده ينهض عن كرسي هزاز ويقترب منها، من الواضح انه يرى تضرج وجهها وبريق عينيها.

اعتراها الذهول وتسمرت مكانها وهي تفرك يديها بعصبية بانتظار قول غيدوين لشيء ما...

الفصل العاشر

استيقظت صباح اليوم التالي على صوت غناء احدهم. ادركت ان غيدوين هو من يتمتم بالغناء وهو يغتسل. كانت الأغنية اغنية فرح يغنيها الأطفال في المدارس. انصتت لندسي وعيناها مغمضتان وكأن بقيامها بهذا بإمكانها انهاء الألم الذي يعتصر قلبها.

السعادة القصوى كانت تنضح من صوته مما دفع لندسي للبكاء رغما عنها، نهضت وهي تمسح دموعها، لكم كانت حمقاء... حمقاء غير عادلة مع غيدوين... ولكم كانت قاسية معه، لإطلاقها العنان لمشاعرها ومنحه هذه السعادة الزائفة التي ستتبخر لحظة عودة ذاكرته اليه وحينها سيضاف إلى كرهه لها احتقاره لنفسه.

بالكاد كانت تدرك ما تفعله لكنها وجدت نفسها تدور في انحاء المكان. فكرت ان من حسن حظها انها أتت بسيارتها البارحة، فبهذه الطريقة ستتمكن من المغادرة بسهولة...

اتسعت عيناها لادراكها ان الغناء توقف... وكذلك صوت المياه. انتفض قلبها بشدة وشعرت بالاختناق وهي تتناول حقيبتها وتهرع لمغادرة المكان، وسمحت لنفسها بلحظة فقط للنظر إلى الغرفة كي تطبع هذا المنظر في ذاكرتها، كي تبقى هناك في السنوات الباردة القاحلة المقبلة.

غادرت المنزل بسرعة عبر البهو ثم تناولت سترتها من المشجب وثم إلى الشارع، انطلقت بسيارتها على الفور وما

هي الا لحظات حتى كانت على الطريق العام، وحين توقفت امام الاشارة الحمراء، هناك فقط تجرأت ونظرت بالمرآة خلفها وهي تحبس انفاسها مخافة رؤية غيدوين... لكنه لم يكن هناك.

انهمرت الدموع على وجهها وتابعت السير بعد الاشارة الخضراء وهي تفكر، ما الذي سيفكر غيدوين به بعد اكتشافه رحيلها؟ سيجن جنونه... في البداية... ثم سيتحول الجنون إلى غضب، غضب جامح، وسيأتي بحثاً عنها، لا شك لديها بهذا الشأن، لكنه هذه المرة لن يجدها، فهي لن تذهب لا إلى البيت في الجبل ولا إلى شقتها. انها بحاجة للابتعاد، الابتعاد عن أي مكان قد ينجح غيدوين بالوصول اليه بحثاً عنها، ستنزل في أي فندق لحين انتهائها من تصوير الاعلان مع داماريس... وستغادر بعد ذلك البلد، ستذهب في عطلة طويلة إلى بلد ما. ستذهب إلى حيث الشمس ساطعة والأزهار متفتحة، وحيث بإمكانها سماع اصوات ضحكات الناس السعيدة، فلعل ذلك هو الشيء الوحيد الذي سيمكنها من تحمل تعاستها.

بعودتها إلى لندن من بليز بعد ثلاثة ايام من العيد، ولدهشتها وجدت كينت مصور داماريس الشاب الأشقر بانتظارها في المطار.

قال وهو يرحب بها: «تبدين رائعة، ومن الرائع رؤيتك ثانية.»

قالت له بابتسام وهما ينطلقان بالسيارة: «لم تكن مضطراً للقائي كما تعلم، حين أرسلت لك بطاقة المعايدة تلك لأخبرك بموعد وصولي أردت فقط اعلامك بتحركاتي لا الطلب منك المجيء لتقلني.»

«اعرف... لكني اضطررت للمجيء.»

نظرت اليه لندسي بحدة وسألت: «هل من خطب ما؟»

«لا، لا... لا يوجد اي خطب. الأمر فقط... هل لديك اية مشاريع لهذه الليلة؟» سألها والحذر يظهر في أعماق عينيه.

قالت: «اجل لدي.» وتابعت في نفسها ليس لهذه الليلة فقط بل للأيام القادمة أيضاً... وقد قضت الاسابيع الأولى لعطلتها وهي تفكر بهذه المخططات. في الواقع انها ليست مخططات بل حملة، حملة لكيفية التعامل مع المشاكل التي قضت مضجعها منذ مغادرتها لشقة غيدوين في بلغرافيا ويتلخص محور هذه الحملة على سؤال واحد: «كيف تخرجه كلياً من حياتها؟»

منذ ادراكها انها منذ لحظة التقائها به كانت تهرب منه، شعرت انها ستضطر للهرب منه إلى الأبد... الا إذا اتخذت موقفاً الآن، فإن لم تفعل فستتصاعد هذه المسألة ويصبح حلها مستحيلاً، فمن غير المعقول لها قضاء كل حياتها بالهرب منه وتحاشيه... وفور توصلها لهذا القرار أضحى الحل واضحاً. عليها التوقف عن التهرب من غيدوين... ومواجهته.

لا بد انه يعرف الآن انها لا تعيش في شقتها ولا شك انه ينتظر عودتها، وحين يظهر مطالباً بمحادثتها فهي تعرف ما العمل. عليها أداء أهم الأدوار في حياتها واقناعه ان ما حدث بينهما لا يعني شيئاً لها ثم إخباره انها لا ترغب برؤيته ثانية، وعليها إخباره بذلك بطريقة لا تترك لديه ادنى شك انها تقصد ما تقول.

كان ذلك الجزء الأول من حملتها، أما الجزء الثاني فسيقع فور عودة ذاكرته اليه... وهذا ما سيحدث بالتأكيد عاجلاً أم

آجلاً... وحينها سيجمع كل قطع الاحجية التائهة في غمام عقله وسيأتي كالصاعقة إلى شقتها وصوته يهدر بالاحتقار الوحشي. وهنا عليها أداء الدور الثاني الأصعب في حياتها، عليها التثبت وتقوية نفسها لتحمل كل غضبه، كل كرهه، كل احتقاره بصمت تام... وعليها عدم الاستجابة لثورة غضبه لأنه فور تفجيره لتلك الثورة الغاضبة فسيغادر حياتها إلى الأبد وسينتهي كل شيء...

«لندسي؟»

ادركت ان كينت كان يلوح بيده امام وجهها.

«... آسفة يا كينت، انا... مرهقة بعض الشيء... بسبب السفر...»

قال مبتسماً: «طبعاً خططك... لهذه الليلة... ما هي؟»

ركزت لندسي انتباهها عليه بجهد واجابت: «اخطط للعودة إلى شقتي، غسل شعري، غسل ملابسي الوسخة، وبعد الاستحمام سأصنع لنفسي فنجان قهوة وأشاهد بعض البرامج التلفزيونية التافهة.»

ابتسم كينت وقال: «بإمكانك القيام بكل ما ذكرت... باستثناء الأمر الأخير.»

«تقصد مشاهدة التلفزيون ام البرامج التلفزيونية التافهة؟ ترغب بمشاهدتي لبرامج ثقافية مفيدة للعقل؟»

لست مهتماً بعقلك هذه الليلة بل بك.»

«كينت؟» حدقت به لندسي بذهول واحتجاج، فهي تعمل معه منذ ثلاث سنوات ولم يسبق له ان تحرش بها أبداً من قبل، فقد بدا وزوجته بنسي على افضل وئام.

«آسف.» قال بقهقهة لتلاعبه بالألفاظ وتابع: «عليّ تسليمك

شخصياً لذاك المركز التجاري الضخم في فايف كورنر الساعة الثامنة تماماً، بأمر من كارنغتون أودلي بذاته.»

«اودلي؟ مدير عام داماريس؟»

«أجل، فقد قرر المنظمون إظهار فتاة داماريس على مسرح الحفلة، ثم اصيبوا بخيبة أمل شديدة حين علموا بسفرك خارج البلاد ولم يعرف احد موعد عودتك، وتنهد الجميع بسعادة حين اعلنت نبأ تسلمي بطاقة بريدية منك وانك ستعودين للوطن ليلة حفل الافتتاح بالذات.»

ردت لندسي: «وكالة داماريس مهتمة بهذا الأن لديها محلا في المركز التجاري الجديد.»

«صحيح، وقد دعى اودلي رؤوساء مجلس الادارة بأكملهم، ستقام حفلة ضخمة بعد الافتتاح، وستقومين يا عزيزتي بقص الشريط بنفسك.»

«ماذا؟»

أجابها بتفهم: «اعرف انك تكرهين هذه الأمور، لكن ذلك سيستغرق دقائق قليلة. ثم سيكون علينا التوجه إلى بهو الاحتفالات في فندق فيف كورن، اظن ان قطع ازياءك البيضاء نظيفة؟»

«انها دوماً نظيفة.» ردت لندسي بنفس اللهجة المرحة التي سألها بها كينت.

«عظيم فنحن نرغب بإعطاء افضل انطباع...»

ساد الصمت بعد هذا بينهما فيما عاد كينت للتركيز على القيادة. ولا بد ان لندسي غفت قليلاً لأنها شعرت لاحقاً به. يهز ذراعها قائلاً: «استيقظي يا عزيزتي هذا هو الشارع المؤدي إلى شقتك. أليس كذلك؟»

رمشت بعينيها وقالت: «اجل.» مع ان جادة فورغان تمتد لأكثر من ميل والشقق متناثرة على جانبي الطريق، الا ان المكان كان هادئاً في ساعة الغروب هذه وقبل عودة السكان من اعمالهم، كانت هناك سيارة واحدة قادمة بالاتجاه المعاكس لهم مرت من قربهم بسرعة جنونية.

قال كينت بامتعاض: «هؤلاء المتهورين هم المسؤولين عن اخطار حوادث الطرق.»

وعن اخطار أخرى، قالت لندسي في نفسها بعد ان لمحت سائق سيارة الجاغوار بقلب بنتفض. شعر أسود كث يتطاير مع الهواء وعينان متقلصتان بحدة وشفاه مزمومة، كان السائق معروفاً للندسي اكثر من كينت نفسه، فالسائق كان غيدوين ستون.

هناك سبب واحد لوجوده في هذا الحي المتوسط المستوى، كان يبحث عنها، كان يضغط على جرس شقتها دون حصوله على رد، لا بد انه استدعى حارس البناية بعد ذلك وسأله عنها وعن موعد عودتها... وقد أخبره الحارس حينها انه لا يعرف شيئاً بهذا الخصوص، كم مرة أتى غيدوين إلى هنا خلال الاسابيع الاربعة الماضية؟ هذا ما تساءلت عنه بتعاسة...

«... غيدوين ستون.»

ادارت رأسها بحدة نحو كينت عند سماعها نطقه بهذا الاسم. كانت تدرك انه يتكلم لكنها لم تستمع لشيء مما قاله نظراً لغرقها في افكارها لحين نطق باسم غيدوين ستون.

«ماذا قلت؟»

«قلت ان كل اثرياء لندن ورجال اعمالها سيكونون هناك الليلة.» وتابع بعد ما ركن سيارته على الرصيف امام

بنايتها: «واهم هؤلاء على الاطلاق سيكون هناك أيضاً دون شك. غيدوين ستون، فبعد كل شيء كانت شركته هي من أسس وبنى المشروع.»

سألته بوهن: «شركة ستون وستون؟»

«اجل، سبق وسمعت عنها، أليس كذلك؟»

تمتمت: «بالطبع.»

«أسس ستون الأب الشركة لكنه أعطى مفاتيحها لابنه قبل سنوات، لا بد ان غيدوين ستون هذا رجل ناجح بكل معنى الكلمة، اتمنى ان نلقاه هذا المساء، تبا لمسألة حادثة الاصطدام والهروب تلك التي ألصقت به. مهما كانت تلك المرأة التي أمنت له الملاذ في جبال اسكتلندا.» وابتسم بخبث قبل ان يتابع: «فلا بد انها تحتفظ بذكريات سعيدة. فلغيدوين ستون شهرة معروفة حسبما اسمع.»

كانوا قد وصلوا إلى باب شقة لندسي بهذا الوقت فوضع كينت حقائبها على العتبة وتابع: «ها قد وصلت. اغسلي شعرك وثيابك واستحمي ثم تناولي فنجان قهوتك. لكن كوني مستعدة لحظة وصول عربة الخيل. سأمر لاصطحابك في السابعة تماماً، حسناً؟»

قالت وتدبرت الابتسام وهي تشكره: «حسناً شكراً لك على إحضاري من المطار. كان هذا لطفاً منك.»

كان عقلها وقلبها في دوامة وهي تفتح باب الشقة وتدخل. اذن لغيدوين ستون شهرة كبيرة مع النساء، لا بأس انها ليست بموقع انتقاده...

وهو سيكون في حفل فايف كورنر هذه الليلة، هذا شيء لم تتوقعه حين وضعت خطتها. لم يخطر ببالها انها قد

تصادف غيدوين اثناء عملها، حيث يتواجد العديد من الاشخاص لملاحظة ما سيحدث، وحيث سيكتشف عبر قناع فتاة داماريس هويتها الحقيقية وقيامه بعد ذلك بتصرف ما. لطالما تصورت ان اللقاء بينهما سيحدث داخل جدران شقتها وليس بين الناس.

الليلة ستكون شاقة جداً، لا شك لديها بهذا الشأن، لكن امامها بضع ساعات للاستعداد ولبناء حصون دفاعها.

لكن هل ستكون هذه الحصون متينة كفاية لدعمها بحال اكتشف غيدوين هويتها واجبرها على مواجهته؟

www.elromancia.com

الفصل الحادي عشر

حتى الآن كل شيء جيد!

فكرت لندسي وهي بانتظار المصعد الذي سيقلها مع كينت إلى بهو فندق كراون حيث تقام الحفلة. وعادت بتفكيرها إلى حفل الافتتاح الذي انتهى قبل خمس دقائق فقط، كانت الخطابات في صالة المركز التجاري قصيرة، وتمت التقديمات بشكل مبالغ به كالعادة وأدت هي دورها بقص شريط الافتتاح دون أي حادث يذكر...

اكتشفت ولراحتها الشديدة ان غيدوين لم يكن في الحفلة. وهمس كينت إليها أثناء إحدى الخطابات ان المؤسس تعمد عدم التواجد بسبب الدعاية البشعة التي أحاطت به مؤخراً بشأن حادثة السيارة وصدم المرأة العجوز لذا فقد تعمد عدم التعرض لكاميرات الاعلاميين والصحفيين المتواجدين بكثافة هنا.

وهكذا كانت تشعر بتوترها يخفّ تدريجياً فيما المصعد يرفعهما للطابق الخامس حيث بهو الاحتفال. يبدو ان الحظ لم يشأ لقائها مع غيدوين بعد... على الأقل ليس أثناء هذه المناسبة. ألقت نظرة على نفسها بمرآة المصعد واطمأنت قليلاً فحتى لو كان غيدوين هنا فقد لا يتعرف إليها وشعرها الأسود بكامله مخفي تحت الوشاح الأبيض وعيناها مخبئتان خلف النظارات الشمسية الكبيرة وقوامها ضائع تحت الثوب الأبيض الفضفاض.

«تبدين أكثر استرخاء الآن.» قال كينت وهو يرمقها بلطف: «قطع الشريط لم يكن سيئاً بعد كل شيء، أليس كذلك؟»

ردت: «لا، لم يكن سيئاً.»

سارا معاً عبر الممر المغطى بالسجاد الداكن السميك باتجاه صوت الموسيقى الصادحة من آخر الممر حيث رحبت بهم بعد لحظات امرأة ترتدي ثوباً ذهبياً أنيقاً وأدخلتهم إلى الحفل.

«أنت فتاة داماريس دون شك.» قالت المرأة للندسي وهي تبتسم لها بود: «أنت لست بحاجة إلى بطاقة الاسم.» واستدارت نحو كينت متابعة: «وأنت يا سيدي؟»

«كينت ماكسويل أعمل مصور في وكالة داماريس.»

«هاك بطاقة اسمك سيد كينت ماكسويل.» قالت المرأة ذلك وهي تضع البطاقة على سترة كينت.

«تفضلا واحتسيا ما ترغبان به من الشراب.» قالت المضيفة وهي تشير إلى طاولة الشراب.

تابط كينت ذراع لندسي وسار معها وسط المدعوين إلى الطاولة. كانت معظم النساء ترتدين أثواب سهرة أنيقة وفاخرة فيما الرجال في بذلات سوداء رسمية، في الأيام الخوالي كانت كل الرؤوس تستدير نحو لندسي بثوبها الأبيض الذي يضفي الغموض على هويتها، لكن الآن لم يعد ذلك يحدث نظراً لمرور بضع سنوات على ظهور فتاة داماريس.

«يوجد أكثر من مئة شخص هنا. وكل امرأة تضع عطر داماريس.»

ردت لندسي بقهقهة وفتاة جذابة تمر قربها يفوح منها رائحة

العطر: «أظن هذا هو التصرف السياسي المناسب الذي...» واختفت بقية عبارتها في حلقها لرؤيتها رجلين يبتعدان عن الطاولة بعيداً عن الحشود... أحدهما كان غيدوين، كان شعره الأسود مصففاً بعناية وبشرته البرونزية تظهر بوضوح بياض قميصه الناصع وجسده الرياضي يتحرك في بذلته السوداء الرسمية بكل تناسق الفهد الأسود وجماله.

أحست وكأن أنفاسها تتقطع ولم تعد قادرة على التنفس. لحسن الحظ لم يلحظ كينت اضطرابها.

«لنحضر الشراب.» تمتم وهو يقودها إلى الجهة الأخرى: «أرى رئيس مجلس ادارتنا لكنه يتحدث مع شخص ما. سنمنحهما دقيقة أو أكثر ثم ننطلق بعيداً عنهما. فلا يكفي أن نكون هنا بل علينا التأكد من رؤية الجميع لنا..» تناول كوبين وناول واحداً للندسي متابعاً: «تفضلي يا عزيزتي.»

«شكراً.» ورفعت الكوب لترشف منه.

ابتعدا عن طاولة وبدأ كينت يحدثها عن شؤون داماريس وما يحدث في مكاتبها الرئيسية لكنها بالكاد كانت تستمع لما يقول والتوتر عاد ليسيطر عليها مخافة ما قد سيحدث لاحقاً، كيف ستهرب من هذا؟ كيف ستتحاشى مسألة تقديمها إلى غيدوين ستون؟

فأودلي كارينغتون كان يتحدث إلى غيدوين ستون بنفسه. لكن رغم محاولاتها اليائسة لتحاشي ذلك إلا أن كينت كان يدفعها رغماً عنها إلى مكان الرجلين، وفور رؤية أودلي كارنغتون لهما لوح لهما بترحاب واستدعاهما فيما قلب لندسي يكاد يتوقف عن النبض.

قال أودلي بابتسام: «كينت، تسرني رؤيتك. أقدم لك كينت ماكسويل المصور المبدع في وكالتنا وبالطبع أنا فخور بتقديم فتاة داماريس. فاتك احتفال قطع الشريط... لكني اؤكد لك انها أدت عملاً رائعاً بافتتاح مركزك التجاري الجديد.»

تدفق الدم إلى وجنتيها وشكرت محاسن الصدف على نظاراتها الشمسية الكبيرة فيما مدت يدها لمصافحة اليد الممتدة إليها، هل سيشعر بحرارة النار في يدها ويتعرف إليها جراء ملامسة يده ليدها؟ كانت يده باردة وصارمة وواضح ان ما خافت منه لن يحدث... ليس بعد.

«طبعاً.» قال بنبرة عادية: «ولا يفترض بي معرفة اسمك، أليس كذلك؟»

ارتفع خوفها إلى درجات قصوى فإن نطقت فهو سيكتشف هويتها دون شك... ترددت وخلصها كينت من احراج هذه اللحظة دون قصد.

«هذه معلومات سرية.» قال كينت بمرح وهو يصافح غيدوين متابعاً: «تهانينا على مركز فايف كورنر انه مركز تجاري من الدرجة الأولى.»

«شكراً يا ماكسويل.» رد غيدوين بابتسام: «لكن شعوري مماثل لشعور الممثلين المستلمين جوائز الأوسكار. لا يعود كل الفضل لي وحدي. فالعديد من الأشخاص اشتركوا بإنجاح مشروع فايف كورنر.»

كانت ابتسامته ساحرة كما لاحظت لندسي وأدركت ان سعادته هذه الليلة كانت مصطنعة. حدقت في عينيه مدركة انه لن يعرف ذلك من خلف نظاراتها السوداء السميكة ورأت

البرودة داخلهما وعرفت ان أفكاره تائهة في مكان آخر. بعكس معظم الرجال الذين يقابلونها للمرة الأولى كفتاة داماريس، هو لم يحدق بملامحها أو بقوامها وبالرداء الأبيض الغامض الذي ترتديه. هو لم يكن مهتماً بها كامرأة. بالكاد كانت تهمه كمجرد موظفة في مجموعة داماريس، كان هناك نفاد صبر وقلق في طريقة وقوفه دلتها على رغبته في التواجد بمكان آخر غير هذا. تماماً كما ترغب هي بالتواجد في مكان آخر لكن لأسباب تختلف جذرياً عن أسبابه.

أدركت بوصول النادل بصينية الشراب ان كوبها قد فرغ تماماً وقبل أن تعي ما يحدث وجدت غيدوين يأخذه منها، يعطيه للنادل... ويقدم إليها كوباً آخر. لم يكن أمامها من خيار سوى تناوله منه لكن لامس ابهامه يدها أثناء ذلك ورغماً عنها صدرت عنها شهقة وهي تسحب الكوب منه بسرعة متسببة بسكب بعض الشراب على كمه.

«آسفة.» قالت بصوت هامس تمنت ألا يسمعه.

كان كينت ورئيس الإدارة يتحدثان معاً ولم ينتبها لما يحدث، لكن فيما تراجعت لندسي خطوة لاحظت تقطيب غيدوين وتحديقه بيدها الممسكة بالكوب. لمس كينت كتفها في تلك اللحظة وشعرت بالراحة العظمى لحدوث أي شيء يكسر هذا التوتر الموجود حالياً بين غيدوين وبينها.

استدارت وهمست بصوت خافت كي لا يسمعه أحد إلا كينت: «نعم؟»

«كم الساعة يا عزيزتي؟»

رفعت كمها الأيسر قليلاً للنظر إلى ساعتها لكنها تذكرت

انها لم تكن تضع الساعة، فهي مفقودة حتى من قبل سفرها إلى بليز. لا تذكر اطلاقاً أين أضاعتها كل ما تذكره انه أثناء تواجدها في مكتب السفريات لحجز تذكرة رحلتها أرادت تفقد الوقت ولم تكن ساعتها معها... وأدركت انها فقدت ساعة والدتها الثمينة في مكان ما.

بحثت عنها مطولاً بعد ذلك في شقتها وفي سيارتها لكن دون جدوى. تعرف انها كانت تضعها في يدها أثناء قيادتها من اسكتلندا إلى منزل المحامي بيتر تافستوك فقد نظرت إليها مراراً أثناء تلك الرحلة لكنها لم تعد تذكر رؤيتها لها منذ ذلك الحين. لعلها فقدتها في أي مكان.

الآن فيما تركت القماش الحريري يعود إلى تغطية معصمها كانت تشعر بتركيز عينا غيدوين عليها. تدبرت الضحك وقالت بصوت حاولت جاهدة تغييره قدر المستطاع: «آسفة كينت، لكني لا أضع ساعتي حالياً.»

«انها التاسعة والنصف.» رد غيدوين ونظره عليها هي لا على كينت. كان ينظر إلى أنفها، إلى فمها وجبينها أي الاجزاء الظاهرة من ملامحها إضافة إلى يديها.

اعتراها الذعر لكنها صممت الحفاظ على هدوئها فلا يوجد أي رابط بين عارضة داماريس العصرية الأنيقة وبين الفتاة الاسكتلندية الجبلية التي التقاها في المرتفعات البعيدة. اقتربت أكثر من كينت وكأن هذا القرب يؤمن لها الأمان. سمعت مناداة أودلي كارنغتون لمجموعة أخرى من المدعوين للانضمام إليهم. وحينها انخرطت إحدى نساء تلك المجموعة بالحديث مع غيدوين وتنفست لندسي الصعداء. بكل طبيعية أدارت ظهرها للمجموعة متظاهرة

بإلقاء نظرة على بقية المدعوين فيما استغلت هذه الفرصة للهمس إلى كينت.

«أشعر بصداع خفيف لن يلبث أن يقوى، أخشى انني مضطرة للمغادرة. لا بأس بذلك؟»

تردد للحظة فقط لكن بدا ان أحداً لم يكن منتبهاً لهما، فقد اشترك رئيس مجلس الإدارة بالمحادثة الدائرة بين غيدوين والمرأة وكانت المجموعة حولهم تزداد تدريجياً.

تمتم: «طبعاً، لكني مضطر للبقاء، سأرافقك إلى الأسفل وأطلب لك سيارة أجرة.»

اومأت برأسها قائلة: «خروجنا معاً سيلفت الانتباه لذا الأفضل لي المغادرة وحدي دون جذب الانتباه.»

قال كينت: «حسناً.... سأغطي لك غيابك. أراك الأسبوع المقبل؟ ستأتين للتوقيع على عقدك الجديد، أليس كذلك؟»

«لست واثقة كلياً من حاجتهم لي.»

قال بتأكيد: «بل كوني واثقة. فقد وردتني معلومات أكيدة ان العقد أصبح جاهزاً.»

قالت: «حقاً؟ هذا رائع، شكراً لك يا كينت.» اتجهت لندسي إلى طاولة الطعام وتوقفت أمامها للحظات وكأنها تختار ما ترغب به ثم ابتعدت عن الطاولة وغادرت من باب الخروج القريب منها إلى الممر الخالي.

بعد لحظات كانت في المصعد وحاولت التخفيف من تسارع نبضها فيما أبواب المصعد تغلق وتنزل إلى الطابق الأرضي.

لم تصادف أحداً في بهو الاستقبال فأخذت معطفها من الغرفة المخصصة لذلك وغادرت الفندق وهي تشد المعطف

حولها. ظهرت أمامها سيارة أجرة فلوحت لها واقتربت السيارة منها. لكن فور وصولها لآخر درجات الفندق وبعد أن فتح لها السائق باب الركاب سمعت صوتاً يناديها من الخلف.

«آنسة بالفور.»

استدارت وردت: «نعم؟»

تردد صدى جوابها بوضوح رغم ضجيج حركة السير... وبصوتها الواضح النبرات. أدركت فداحة غلطتها فوراً ومزقها الخوف، لم يجدر بها الرد على ذاك السؤال... كانت هذه خدعة قديمة... لكنها خدعة تنجح معظم الأحيان. هذا اختبار... اختبار فشلت هي فيه. فهناك عند عتبة باب الفندق كان غيدوين ستون يقف بثبات وجمود، ثم بدأ يسير نحوها.

كان وجهه أبيض اللون كالورقة، وعيناه الزرقاوان تتوهجان بنار غريبة فيما يداه متكورتان وأنفاسه لاهثة. كان يسير إلى حيث تقف مسمرة رغماً عنها تنظر إليه. وبوصوله إليها توقف للحظة، بدت للندسي دهراً. ثم أمسك بها من كتفيها بقوة كادت أن تحطم عظامها وأدركت والصدمة تهزها بعنف ان ذاكرته قد عادت إليه...

«أيتها الكاذبة. أيتها المخادعة الكاذبة.»

«اتركني.» همست بتوسل وهي تنكمش أمامه.

«أجل، سأتركك... تأكدي انني سأفعل.» قال ذلك والاشمئزاز واضح في صوته. كان أقوى من أي صفعة: «لكني أريد ان أقول لك شيئاً أولاً.»

«كيف... كيف عرفت... انني؟»

«كيف عرفت هويتك؟ ميزت يداك. اليدان اللتان تحملان

علامة الولادة الصغيرة التي على شكل دائرة داكنة واللتان تستخدمينهما بطريقة بارعة أثناء المصافحة...»

غرزت لندسي أصابعها في كفها وكأنها ترغب بإخفائها، لكنه فجأة ترك كتفاها وأمسك بيديها مجبراً إياها على فك أصابعها.

«يد جميلة، ألا تنكرين مدى إعجابي بهما؟ كانت تلك غلطتك الأولى...»

قاطعته بصوت متقطع: «هل ذاكرتك عادت إليك؟»

«من يدري الطريقة التي عادت بها إلي.» قال وهو يشد قبضته على يديها مسبباً لها الألم: «رأيت علامة الولادة، ميزت اليدين... وعرفت انك لندسي بالفور... لكن حتى وأنا أستفيق من هذه الصدمة رأيتك تبحثين عن ساعتك... ولمعت صورة ما في مخيلتي. ساعتك يا عزيزتي.» نطق الكلمة الأخيرة بسخرية بالغة: «كانت الشرارة الأخيرة. الساعة هي التي جعلتني أتذكر. كانت ما فتح الباب على الماضي للحظة هائلة والصور تتحرك داخل عقلي، لم تبدو الأشياء منطقية لي... لأنني رأيت تلك الساعة، تلك الساعة الفريدة من نوعها تزين معصم اثنان أو بالأحرى ثلاث نساء مختلفات. أولاً المرأة في البيت الاسكتلندي الجبلي والتي تركتها بعدم اهتمام على مغسلة الحمام وانتشلتها مني بسرعة وارتباك، ثم هناك المرأة التي كانت برفقة والدي في مطعم اليزابيت والساعة تلمع في شمس بعد الظهيرة فيما صاحبتها تمسك بيديه بحب، وأخيراً تلك المرأة المتشحة بالأبيض، فتاة داماريس الغامضة البالغة التوتر والتي لا تضع ساعة... والتي انسلت من الحفل آملة ألا يلاحظها أحد. أنت دائمة

الهروب أليس كذلك يا آنسة بالفور...» لم يزعج نفسه بمحاولة اخفاء الازدراء والاحتقار في صوته وهو يتابع: «حين تسوء الأمور؟ والآن...»

تراجعت لندسي خطوة للخلف فيما عدّل هو طريقة امساكه بها ووجدته يمسك بيديها الاثنتين بقبضة واحدة فيما انطلقت يده الأخرى نحو شالها.

«تعرفين انني أحب شعرك الأسود منسدلاً.» قال بخبث جليدي وهو يزيل شالها الحريري.

قالت بشهقة محاولة تحرير يدها من قبضته: «لا تفعل، لا يجب أن تفعل... فقد يرى الناس ذلك.»

ضحك باحتقار وتجاهل توسلها قائلاً: «قد يرى الناس ذلك. كدت أنسى... أنت تقلقين وتكترثين جداً لرأي الآخرين بك، أليس كذلك؟ ما الأمر؟ أتخشين خسارتك لعملك بحال خسرت غموض هويتك؟ أم تخشين خسارة شيء آخر؟ أولاً سُمعتك والآن غموض هويتك. لكم تكترثين لهذه الأمور.»

شعرت بالدموع تتجمع في مآقيها. وهمست: «اتركني، اتركني وشأني أنت مخطىء بشأني...» وعضت شفتها لإدراكها انها لن تتمكن من قول المزيد. للحظة واحدة فقط اعتقدت انها رأت نظرة ارتباك في عينيه... ارتباك وألم، ألم يشابه ألمها. ثم أرخى رموشه وكل ما استطاعت رؤيته بعد ذلك كان عينان فيهما كل البرودة.

قال بصوت غير واضح النبرات: «إن كنت مخطئاً بشأنك. فأخبريني إذن انني مخطىء بخصوصك أنت ووالدي. أخبريني انك لم تكوني تقابليه في فيلا تاماريسك، أخبريني أنك لست على علاقة معه، أخبريني ان أحدكما لا يعني شيئاً للآخر.»

بالكاد كانت لندسي تدرك ان سيارة الأجرة لا زالت بانتظارها على الرصيف، بالكاد تشعر بازدحام السير أمامها وبحشود المارة التي كانت تسير على الرصيف. كل ما كانت تسمعه كان نبضات قلبها وانحباس أنفاس غيدوين بانتظار ردها. كل ما كانت تشعر به ضغط قبضته بقسوة على معصميها والتمزق المؤلم في قلبها.

قالت والكلمات تخرج منها بشهقة باكية: «لا أستطيع، هناك علاقة بيني وبينه لكنها ليست من النوع الذي تعتقد! أنت لا تفهم...»

«لا أفهم بالتأكيد.» قال بحدة وهو ينزع عنها شالها تاركاً شعرها لينسدل كالشلال على كتفيها ثم انتزع نظارتها عن وجهها بخشونة جعلتها تصرخ بصوت خافت ورماها على الأرض وداسها بقدمه محطماً إياها إلى مئة قطعة. بعد ذلك دفعها عنه بتقزز وقوة كادت أن تفقدها توازنها. وفيما هي تجاهد لتستقيم مجدداً سمعت ما كان يقوله وكأنه يتكلم من مسافة بعيدة، بعيدة جداً...

«لولا انك من أنقذ حياتي لكنت حطمتك. لكنت تأكدت من عدم حصولك على أي وظيفة طالما أنت على قيد الحياة، لكنت عملت على تحطيم سمعتك وتلطيخها بالوحل. لكن بما انك أنقذت حياتي وبما انني مدين لك بذلك... لكم أكره الآن كلمة مدين تلك... فإنني لن أحطم حياتك. بإمكانك الاحتفاظ بسمعتك وبإمكانك الاحتفاظ بعملك مع داماريس، لكن منذ هذه اللحظة لست مديناً لك بشيء. أتفهمين؟ لست مديناً لك بشيء إطلاقاً. وآمل ألا تقع عيناي عليك بعد الآن أبداً.»

وانفجر ضوء ما بوجه لندسي. للحظة مهولة اعتقدت ان

أحدهم رمى قنبلة ما أمامهما، لكن رغم صرختها لمع الضوء ثانية، ثم ضوء آخر وآخر...

سمعت صوت غيدوين: «ابتعدوا أيها المتطفلين الأنذال.»

فجأة بدا وكأن الفوضى عمت المكان... كل المكان، فيما نظر لندسي يميز ما يدور حولها بعد ومضات الضوء تلك التي أعمتها للحظات ورأت غيدوين في مشادة مع رجلين يحملان كاميرات تصوير... وبشهقة رعب أدركت ما حدث.

كان الرجال من المصورين، من المصورين الصحفيين وقد التقطوا صوراً...

التقطوا صوراً لفتاة داماريس... صوراً ستكشف هويتها وليس هذا فقط، بل سيظهر غيدوين أيضاً في الصور...

كان بإمكانها الهروب الآن فغيدوين لا يزال مشتبكاً مع أحد الرجلين الذي يجاهد لحماية كاميرته، لكنها لم تكن قادرة على التحرك. شعرت وكأن كل شيء يتحرك ببطء ورأت الرجل يحرر كاميرته أخيراً من قبضة غيدوين ويرميها للمصور الآخر الذي أمسكها وهرع مبتعداً.

قفزت لندسي حين لمس أحدهم ذراعها: «أنت مستعدة للذهاب يا آنسة؟» سألها سائق سيارة الأجرة بنفاد صبر.

«أجل، شكراً.» ردت بصوت مرتجف: «أنا مستعدة للذهاب.»

لم تلق نظرة إلى الخلف وهي تسير إلى سيارة الأجرة، لم تعرف سواء أكان غيدوين لا زال مشتبكاً مع المصورين... وهل يهمها ذلك؟ هل لأي شيء أهمية لها بعد الآن؟

أرادت وضع نفسها في موضع لا تحتاج فيه للهروب من

غيدوين بعده، لا بأس انها في ذلك الموضع الآن. لا شيء بإمكانه تغيير ما حدث، لا شيء بإمكانه تغيير كرهه واحتقاره لها، لا شيء سيغير الكره والاحتقار الذي سيشعر به نحوها إلى الأبد.

كل ما عليها القيام به الآن هو متابعة حياتها ومحاولة نسيان ما حدث.

حياتها بالطبع ستكون حياة دون داماريس، فالوكالة يستحيل أن تجدد عقد عملها معها، ليس مع الصور والخطوط العريضة لصحف الغد. وحياتها بالطبع ستكون حياة دون حب.

الفصل الثاني عشر

تورمور اثناء فصل الربيع...

انه افضل مكان في العالم بذلك الفصل.

لطالما اعتقدت لندسي ذلك. لا يهم مهما كانت شدة العواصف شتاء وصقيع الرياح في شهر شباط (يناير) الا ان النسيم يصبح عليلاً في آذار (مارس) حيث تتمايل أزهار النرجس البرية في المزرعة وتغمر أشعة الشمس الدافئة الأراضي الخضراء وتدفع بالمرء للخروج من المنزل مهما كانت الأعمال الواجب عليه القيام بها بالداخل ومهما كانت تعاسة أيامه وشهوره السابقة.

وقفت لندسي في حديقة بيتها ويداها في جيب بنطالها الجينز وعيناها تسرحان بحزن على المشهد الرائع أسفل التلة حيث تلمع مياه نهر مور كالنقود الذهبية وهو يشق طريقه عبر الأشجار على ضفتيه. ستظهر البراعم على تلك الاشجار قريباً وبعدها ستعلوها الأوراق التي ستضفي على النهر أروع الألوان بانعكاس شمس الصيف عليها وعليه. وستكون هي هنا... وحدها تعيسة، حزينة ومكتئبة. لا... لن تسمح للأفكار السلبية هذه بالسيطرة عليها، ستحافظ على تفاؤلها ومعنوياتها العالية رغم كل شيء فمن بإمكانه الا يفعل بمثل هكذا طقس ووسط هكذا جمال طبيعي...

أجل، ستذهب بنزهة عبر الغابة للاستمتاع بالنسيم الدافىء فيما الغيوم البيضاء الخفيفة تعلو في الفضاء برقة ورائحة عطر الأزهار المتنوع تداعب أنفها.

www.elromancia.com

تسربت قوة التفكير الإيجابي إلى اعماق نفسها وشعرت بالفرح داخلها، فتحت عينيها ونظرت إلى يورغ الجالس عند قدميها والذي وقف فجأة واخذ يراقبها بعينين مترقبتين، المسكين يورغ! انها تهمله منذ فترة الآن وقد اعتاد على التنزه وحده في البراري المجاورة...

هز يورغ ذيله بسعادة... لكن لا بد انه لشيء ما، فقد رفع أذنيه ونبح بقوة قبل ان ينطلق نحو بوابة الحديقة إلى الشارع خلفها. وهناك وقف وتابع النباح.

هل من زائر بطريقه اليها؟ سارت لندسي إلى البوابة واكتشفت لندسي وصول سيارة ساعي البريد.

سألته مبتسمة: «ماذا لديك لأجلي اليوم يا رالف؟ فواتير؟»

«طاب صباحك يا لندسي.» رد رالف بابتسامة: «هذه المرة أحمل اليك طرداً...» وناولها مغلفاً كبيراً متابعاً: «انه من لندن، ولا بد انه يحوي شيئاً ثميناً. عليك التوقيع هنا باستلامه، هاك القلم... اكتبي اسمك بأحرف كبيرة.»

نظرت لندسي بفضول إلى الطرد قبل ان توقع الورقة وتعيدها اليه.

«شكراً.» قال وهو يبتعد ويورغ يتابع نباحه، ماذا يمكن ان يكون بالداخل؟ تساءلت لندسي وهي تقلب المغلف لكنها لم تحظ بأي تلميح.

سارعت إلى المطبخ ويورغ يسبقها، تناولت سكينة فتحت بها المغلف وتناولت منه علبة مجوهرات كبيرة مكتوب عليها مجوهرات دانلب - شارع بوند. غمرها الفضول وفتحت العلبة، هناك وسط الساتان الأزرق اللامع

كانت تقبع ساعة والدتها، تناولتها فيما الذهول يتملكها ولاحظت ان قفلها قد تم إصلاحه. لكن من فعل ذلك؟

تناولت المغلف ونظرت مجدداً إلى داخله. تسارعت نبضاتها برؤيتها لرسالة بالداخل فتناولتها بأصابع مرتجفة وفضتها على الفور. قبل ان تقرأ المحتويات تحول نظرها إلى التوقيع في الأسفل... الرسالة من الكساندر...

ارتعشت ساقا لندسي وجلست في أقرب كرسي وبدأت بقراءة الرسالة...

ابنتي العزيزة، ستتساءلين في البداية لماذا اكتب اليك بعد اتفاقنا على عدم الاتصال... ثم ستتساءلين كيف وصلت ساعتك إلي.

سأجيب عن السؤال الثاني أولاً. وجدت لورا الساعة في منزل غيدوين ببلغرافيا.

آه! عضت لندسي على شفتها السفلى وخيبة الأمل تغمرها... وانفاسها محبوسة في صدرها. تابعت القراءة...

ذهبت لزيارته لأننا لم نره منذ اسابيع واسابيع، لكن حين رأته بالكاد عرفته. كان مشعث الهيئة وذقنه بحاجة للحلاقة، اما منزله فقد كان في فوضى عارمة. وحين لم تستطع الحصول على أي ردود أو إجابات منه، قررت لورا تنظيف المكان وحينها وجدت الساعة، وجدتها على الأرض قرب السرير.

اطلقت لندسي تنهيدة طويلة، لا بد ان الساعة سقطت على الأرض في الغرفة التي نامت فيها.

لاحظت لورا الكلمات المحفورة أسفل الساعة لكنها حين سألت غيدوين عن صاحبة الساعة لم تحظ بأي جواب حتى انه رفض مجرد النظر اليها، لذا فقد احضرتها لورا لي.

ادركت حينها ان الوقت حان لكشف سرنا الصغير. اطلعت زوجتي على الحقيقة... اخبرتها عن والدتك... وعنك. اتذكرين يوم صادفت غيدوين ولورا في المستشفى خارج باب غرفتي؟ هلا لاحظت صدمة لورا حين رأتك؟ يبدو ان سبب صدمتها كان تذكيرها لها بابنتنا ربيكا، بعد وفاة ربيكا ازالت لورا كل صورها من المنزل لعدم قدرتها على النظر اليها مجدداً، الآن وأخيراً أعادت الصور إلى مكانها. وقد حثتني لورا للكتابة اليك وقد أذهلني كرمها، انها ترغب برؤيتك. لم أتخيل ابداً ان هكذا سعادة ستعود لتغمرني مجدداً...

لكننا لا نعرف اطلاقاً كيف تعرفت إلى غيدوين أو ما هو جوهر علاقتكما... وهذا يعيدني إلى السبب الآخر خلف كتابتي لك. ذهبت ولورا اليه لإخباره انك ابنتي، وكانت دهشتنا كبرى لعمق ردة فعله ونحن يا حبيبتي لم نره منذ ذلك الحين. وكأنه اختفى عن وجه الأرض، حدث كل هذا قبل حوالي شهر وتساءلنا سواء أكان معك، أو حاول الاتصال بك هاتفياً منذ مدة، لكن احد لم يجب...

عدم اجابتها على الهاتف كانت متعمدة، فقد قضت مضجعها الاتصالات الهاتفية الكثيرة من الصحفيين والمصورين منذ ظهور الخطوط العريضة لمجلة اوبرا، طرد فتاة داماريس بعد مشادة حامية بينها وبين غيدوين ستون. ادركت لندسي انها كانت ترتجف، غيدوين... ترى ما الذي حل به؟

لم تعرف كم طال جلوسها هناك، وعقلها وافكارها

غارقة في فوضى عارمة، إلى ان سمعت صوت يورغ الممتعض قربها. نظرت اليه... لكن دموعها منعتها من الرؤية بوضوح لكنها رأت التوسل الصامت في عيني كلبها.

نهضت عن الكرسي وظلت واقفة للحظة طويلة ويدها تمسك عنقها المتشنج وتفكر بما عليها فعله.

عليها الاتصال بالكساندر واخباره انها لم تر غيدوين لكن فور سماعه صوتها فسيسألها والدها عن علاقتها بغيدوين. بماذا يمكنها اجابته حينها؟ هل تقول انها مغرمة به؟ والآن رغم معرفته لحقيقة العلاقة التي تربط بيني وبينك الا انه لم يأت بحثاً عني؟ فكرت والألم يعتصر قلبها، لقد عرف غيدوين أخيراً انها بريئة من الاتهامات التي وجهها اليه... لكنها ثمرة زواج والده من والدتها السري، ولعله لن يسامحها على ذلك ابداً. ستؤجل اتصالها بالكساندر لبعض الوقت ستخرج الآن لاصطحاب يورغ في نزهة ولعل النسيم العليل سيبدد غمام افكارها وستتوصل لمعرفة ما ستقوله لوالدها.

«هيا يورغ لنذهب في النزهة التي وعدتك بها.»

قادتها اقدامها دون وعي منها إلى طريق غريغ مور، لكنها لم تنطلق بهذا الاتجاه... فقد ارادت تحاشي الاقتراب من غريغ مور بعد ذلك اليوم، قبل اسابيع حين سمعت إحدى المزارعات واسمها نيللي كلغور تعلق على حقيقة بيع المنزل القديم الجميل.

«اشتراه مالكون جدد.» قالت نيللي بامتعاض: «من لندن كما سمعت. ولا بد انهم سيحولون المنزل الجميل إلى فندق فاخر للأثرياء من امثالهم...»

ارادت لندسي ان تقول لها لماذا لا تحكمون على الناس تبعا لتصرفاتهم عوض ادانتهم لمجرد انهم من الجنوب، لكنها ابتلعت كلماتها وسمعت نيللي تقول لشقيقتها: «هذا افضل يا نيللي من ترك المكان مهجوراً لربع قرن آخر، فهذا مؤسف جداً...»

لا عجب ان خطواتها قادتها إلى كريغ مور الآن. إذن فهي كانت حزينة نوعاً ما لبيع المنزل الجميل الراكن بين احضان الاشجار الخضراء الكثيفة، بقرميده الأحمر ونوافذه الضخمة القديمة الطراز تحت اشعة الشمس الدافئة. بدا المنزل اكثر جمالاً بهذه اللحظة وادركت لندسي انها داخلياً كانت تعتبر كريغ مور منزلها... كانت تعتبره كذلك لأنها الوحيدة التي كانت تقوم بزيارته مع ان زيارتها كانت تقتصر على التجول في حديقته والتلصص عبر نوافذه التي يعلوها الغبار إلى الداخل. الآن وبعد ان بيع فهي لن تتمكن من العودة اليه فسيكون من المؤلم جداً لها رؤية المنزل الذي لم يعد ملكاً لوالدها. وكأنه ببيعه قد اقفل فصلاً في حياته... الفصل المتعلق بوالدتها. وهذا يؤلمها بشدة.

لكن الآن بوقوفها عند أعلى التلة المواجهة لكريغ مور والنسيم يعبث بشعرها وجدت نفسها مشدودة إلى التجول فيه ولو للمرة الأخيرة...

بدأت ونبضات قلبها تتسارع بالتوجه نحو المدخل فيما يورغ يسير قربها بسعادة وبذهول، ادركت سر ازدياد جمال كريغ مور. فقد ازيلت كل الحشائش البرية التي كانت تحيط بالأزهار وتم تنظيف حواف النوافذ التي كانت تلمع الآن

تحت اشعة الشمس... وأيضاً تم طلاء كل الأطر الخشبية المحيطة بالنوافذ وبالباب الرئيسي. إذن فقد بدأ المالكون الجدد تجديداتهم على الفور! بوصولها إلى السور المرتفع توقفت في البقعة التي كانت تتسلق السور عندها وهي مراهقة. هناك ولدهشتها الشديدة لاحظت لندسي ان باب الحديقة الخلفي مفتوحاً، وكانت هذه هي الدعوة التي يحتاجها يورغ الذي انطلق حتى قبل ان تتمكن لندسي من مناداته ودخل الحديقة.

«تباً...» تمتمت وهي تتجه إلى البوابة فحتى وان نادته فهو لن يسمع صوتها نظرا لوجود محراث يعمل في مكان قريب. اين هو يورغ اصلاً؟ قطبت واخذت تجول ببصرها في المكان بحثاً عنه. كان هذا الجزء من الحديقة كثير الممرات كان مجزوراً بعناية وترتيب لكن لم يكن من أثر ليورغ.

تجرأت واقتربت خطوات قليلة أخرى، نظرت صوب المنزل متوقعة بكل لحظة رؤية السكان الجدد لكن لم يكن من أثر لأحد.

تتابع صوت ضجيج المحراث فيما لندسي تقترب اكثر فاكثر من جهة المنزل الخلفية. وجدت رجلاً هناك يعمل على جنب الاشجار وظهره لها. كانت بنية هذا الرجل الغريب متينة ورياضية وقد اجبرته أشعة الشمس الحارة إلى خلع قميصه وإظهار بنيته الرياضية التي لوحتها الشمس. استقام فجأة وهي تحدق به ووضع المعول جانباً فيما ظهره لها، رأت لندسي حينها انه لم يكن قوي البنية ورياضي فقط، بل كان طويل القامة أيضاً بشعر أسود داكن و...

ماذا!

استندت إلى شجرة الصنوبر قربها فلم تعد ساقاها تحملانها فقد اعتقدت للحظة ان ذاك الرجل هو غيدوين. اغمضت عينيها وحين فتحتهما مجدداً اعتقدت ان ما رأته سيختفي وسترى ان الرجل الغريب امامها حتى وان كان يشبه ببنيته غيدوين الا انه رجل آخر.

ظل قلبها ينتفض بشدة بعد ان فتحت عينيها. لايزال الرجل هناك وهو يشبه غيدوين على الأقل من الخلف... لكن لندسي رأت الآن شيئاً آخر، كان يورغ يستكشف الحديقة بدوره وقد وصل الآن إلى الرجل. ولحظة وصوله اليه اخذ يهز رأسه بحماس وينبح بترحاب.

ادار الرجل رأسه بدهشة ولاحظت لندسي انه بدا وكأنه تعرض لصدمة، كانت تراه بشكل اوضح الآن ومجدداً أحست بنفسها تكاد تنهار لعدم قدرة ساقاها على حملها، هذا مستحيل... لا يمكن ان يكون غيدوين، لكنه هو فعلاً لكن والده باع المنزل...

ايعقل انه من اشتراه؟

لكن ان كان الذهول يسيطر عليها هي فذاك نصف ما يغمره في هذه اللحظة، كان لايزال مسمراً مكانه كالحجر... وظل كذلك لما بدا دهراً بأكمله محدقاً بالكلب بعدم تصديق وكأنه لا يصدق ماتراه عيناه قبل ان يستدير وببطء شديد نحوها.

حبست لندسي انفاسها فيما تشابكت نظراتهما عبر الحديقة وأجج التوتر لدرجة جعلت قلبها يكاد يقفز من صدرها، لم تنتبه حتى تلك اللحظة بالذات لأصوات الطبيعة

حولها... من زقزقة العصافير إلى حفيف اوراق شجرة الكينا قربها إلى طنين نحلة ما كانت تبحث عن الرحيق... ملأت هذه الاصوات مسامعها الآن وكادت تصمها، لكنها رغم ذلك سمعت صوت غيدوين يتكلم، يتكلم بنبرة مصدومة وخائبة جعلت الدموع تتجمع في مآقيها.

«انت؟»

انه لا يرغب بوجودها هنا.

«تعال يورغ.» قالت بصوت مرتجف: «هيا لنذهب.»

لكن يورغ لم يأبه لندائها، كان يجلس على قائمتيه الخلفيتين وعيناه تبرقان واذناه مرفوعتان ينتظر تودد غيدوين اليه، وهذا ما فعله الأخير، لكن دون ان يرفع نظره عن لندسي.

«كلب جيد.» سمعته يتمتم ويده تربت على رأس الحيوان الراضي: «كلب جديد، ما الذي تفعله هنا؟»

كان الألم في أعماق لندسي هائلاً، فلطالما أحب غيدوين يورغ...

لكنه كان يحبها هي أيضاً، بل كان مولعاً بها اثناء إقامته في منزل تورمور، الا يهم ذاك اطلاقاً؟ حين يوازن بين تلك السعادة وبين ما فعلته والدتها الا ترجح كفة الحاضر والمستقبل على الماضي؟ ألن يتمكن من إدراك حقيقة انها ليست والدتها؟

لا تعرف اطلاقاً من اين جاءتها الشجاعة أو القوة للسير... ليس بعيداً عنه خارج الحديقة كما كان عقلها يأمرها بل عبر الحديقة وباتجاهه كما كان قلبها يريد.

في الماضي كانت دائمة الهروب من غيدوين لكنها لن

تهرب منه بعد الآن، ستواجهه، وستجعله يخبرها وشخصياً انه لم يعد يريدها. بعد ذلك فقط سترحل، بعد ذلك فقط ستخرج من حياته وللأبد.

لحظة وصولها اليه جف ريقها، وكادت ان تسمع صوت نبضات قلبها المتفجرة. فيما هي تقترب ودون ان يرفع نظره عنها تناول قميصه الأزرق عن الشجرة قربه ووضعه عليه ببطء وكأنه غير واع لما يفعله. توقفت لندسي على بعد خطوات قليلة منه وحدقت به بثبات.

«مرحبا يا غيدوين.» قالت وهي تدخل يداها في جيبي كنزتها كي لا يرى شدة ارتجافهما: «ماذا تفعل هنا؟ سمعت ان كريغ مور قد بيع.»

الآن وهي قربه لاحظت بشبه صدمة انه قد فقد الكثير من وزنه منذ شاهدته لآخر مرة قبل بضعة اشهر، كان وجهه شديد النحول وعيناه متعبتان وكأنها تنوء من ثقل ذنب ما، ورغم خسارته للوزن الا ان بشرته كانت حيوية ونضرة، فيما رفع يده لإبعاد خصلة شعر متمردة عن جبينه لاحظت لندسي ان اظافره لم تعد مقلمة كالسابق واليدان الناعمتان تحولتا إلى أيد خشنة وقاسية. لا يمكن ان يكون المسؤول عن كل التغييرات التي رأتها في كريغ مور!

«لقد بيع.» قال بصوت خال من التعبير: «وانا من اشتراه.»

هو من اشتراه؟ لكن لماذا؟ قست عضلات حنجرة لندسي لدرجة انها لم تعد قادرة على ابتلاع ريقها. هل اشتراه لإبعادها عنه؟ اشتراه كي لا تتمكن من العودة إلى هنا أبداً؟

سألته: «وقد... أتممت كل هذه التحسينات والتصليحات بمفردك؟»

«أجل.»

«لكن...» قالت ولم تستطع إخفاء حيرتها: «لديك الوفير من المال... لم لم تجعل المختصين يقومون بذلك؟»

لم يجب عن سؤالها وكأنه لم يسمعه، شعرت لندسي بالارتباك يلون وجهها بالأحمر القاني فيما هو يحدق بها وكأنه لم يسبق ان رآها من قبل...

انتزعت يديها من جيبيها، واحاطت بها نفسها بدفاع. ارادت إخباره بكل ما حدث... عن محتويات رسالة الكساندر، لذا فقد بدأت...

«تلقيت رسالة من الكساندر هذا الصباح. من والدي. اخبرني... ان والدتك وجدت ساعتي في غرفة نومك.»

رأت تعبيراً غريباً يلمع داخل عيناه... تعبير ألم، امتدت بينهما فترة صمت طويلة وحين أوشكت على متابعة الكلام لاعتقادها انه لن يجيب سمعته يقول بصوت غير واضح النبرات:

«ساعة والدتك.»

قالت برقة: «أجل. ساعة والدتي.»

«كان اسمها آشلن؟»

طأطأت لندسي برأسها: «اجل آشلن. لكن كان الجميع يناديها لينا... باستثناء الكساندر.» كأن كل شيء يسير بالعكس. انها تدعو الكساندر بأبي وهو يدعوه باسمه الكساندر.

«ما الذي تحاولين فعله بي يا لندسي؟» حدقت به بعدم استيعاب لسماعها القلق الذي لون نبرته.

«ماذا... ماذا تقصد؟»

«لماذا اتيت إلى هنا؟ هل أردت اعترافاً مني بغلطتي؟ لكم اسأت بالحكم عليك؟»

«لا. بالطبع لا...»

لكن وكأنه لم يستمع لها فقد تابع: «لا استطيع النظر اليك...»

كانت التعاسة في صوته سكيناً يمزق اعماقها، انه لا يتحمل النظر اليها. هذا اسوأ مما توقعت. اعتصرها اليأس وغشت الدموع عينيها ولم تعد قادرة على رؤية شيء، انه لا يتحمل النظر اليها...

بشهقة بكاء استدارت مبتعدة عنه، لكم هو حقود وقاسي القلب. لكم هو واثق وقوي، وكأنه لن يفهم يوماً ان دافع والدتها كان الحب وحاجتها للمواساة وللاهتمام...

كان يورغ المخلص يسير إلى جانبها وهي تسير بخطوات متعثرة بعيداً عن الحديقة، ظلت تتعثر بخطواتها بعينين دامعتين، لكنها لم تسقط الا بعد خروجها من البوابة. لم تكن واثقة مما حدث، لعل يورغ سار امامها وتعثرت هي به لكنها فقدت توازنها ولحسن الحظ استخدمت ذراعيها لحماية وجهها من نتيجة السقوط على الأرض الممتلئة بالحصى.

ظلت مكانها للحظة وشعرها يغطي وجهها. قام يورغ بلعق دموعها عن وجهها وهو ينبح بحب، من حسن الحظ ان سقطتها لم تكن قوية والا لأذت نفسها بشدة...

شهقت بشدة فيما رفعتها ذراعان قويتان عن الأرض.

«هل انت بخير؟» سألها وقد بدا وجهه اكثر نحولاً من قبل: «هل أذيت نفسك؟»

ارادت لندسي ان تجيب لكنها لم تستطع، لم يمكنها اليأس الأسود العميق الا من الاستغراق في البكاء اكثر فأكثر. فها هي هنا بين ذراعي الرجل الذي لن تحب سواه طيلة حياتها... مدركة انه لن يبادلها هذا الحب أبداً.

«آه يا غيدوين.» همست من بين شهقاتها: «الن تجد المسامحة والصفح في قلبك مكاناً أبداً؟ انا احبك بجنون و...» ارتجف بشدة وابعدها عن صدره مجبراً إياها على النظر اليه.

«الصفح؟» قال بصوت مخنوق: «انا؟ وعلام يجب ان اسامح؟»

«ان تسامح.» قالت وهي تمسح دموعها التي تأبى ان تتوقف: «لأنها... احبت والدك... وانجبتني.»

«والدتك؟» هتف وعيناه تتسعان من الدهشة: «انا لا ألوم والدتك... أو الكساندر... على أي شيء مما مر بينهما، ولورا بدورها لا تلوم اي منهما، كل ذلك جزء من الماضي. الآن الم تقولي انك تلقيت رسالة من الكساندر؟ الم يشرح لك فيها كل شيء؟»

«لكنك اختفيت بعد ان اعلمك بذلك... فاعتقدا انك صدمت من شدة بالخبر لدرجة انك...»

«لقد اساءا الفهم.» قاطعها ونظرة غريبة تلمع في اعماق عينيه: «هما لا يعرفان... مدى إساءتي إليك. يعرفان انني المسؤول عن فقدانك لعملك مع داماريس. العالم أجمع يعرف ذلك، ذاك وحده كان سيئاً كفاية. ما يجهلاه انني

سلبتك أعز ما تملكين... سلبتك سمعتك.» أغمض عينيه وكأنه لم يعد قادراً على النظر اليها: «سلبتك سمعتك الطيبة. وهذا شيء لن اتمكن أبداً من إعادته اليك.»

فتحت فمها لتقول شيئاً لكنه تابع بنبرة يأس طاغية: «الشيء الوحيد القادر على إعطائك إياه هو هذا... كريغ مور... لأنني شعرت بعمق حبك له... ولأنه جزء من ميراثك.»

كان هذا اكبر من مقدرة لندسي على التحمل. بالكاد كانت تستوعب ما يقول... فهي لم تكن تكترث لأي شيء سوى له وحده... ما اثر بها بعمق. الخشونة التي اصبحت عليها اصابعه ويديه جراء عمله الشاق في كريغ مور ومحاولته اليائسة للتعويض عما فعله بها...

«آه يا غيدوين.» قالت بصوت تخنقه العبرات: «حتى ولو عرض علي داماريس توقيع عقد جديد كنت سأرفض.»

رفع حاجبيه بحيرة: «لا افهم هذا...» حبست لندسي انفاسها، بالطبع هو لن يفهم.

«كان الشرط الأساسي في عقدي القديم، الا أقع بغرام أحد وقد اخبرتهم انني مغرمة بك ولا استطيع العيش من دونك.»

«لندسي، حبيبتي لندسي...» قال والكلمات تتدافع على شفاهه ويده ترتجف فيما هو يمسح الدموع عن وجنتيها: «يا حلمي الجبلي الجميل... هل هذا حقيقي؟ هل نسيت كل ما فعلته بك؟ هل تريدينني حقاً؟»

رفعت نظرها اليه اخيراً ورأت في اعماق عينيه نظرة عدم تصديق... نظرة سعادة تكاد ان تنطلق.

«اجل.» تمتمت والأمل يزغرد بداخلها: «أحبك ولن احب سواك ولو عشت الف عام.»

«إذن هل تسامحيني يا لندسي على...؟»

قاطعته فوراً: «لم تعمل شيئاً لأسامحك عليه. فقد تصرفت بتلك الطريقة لتحمي لورا.»

قال بصوت يغمره التأثر: «ولأنني اردتك لنفسي. بعض الاحتقار الذي اظهرته لك كان موجهاً لذاتي، كنت اشعر بالعار والمرارة لرغبتي بالمرأة المفترض بي احتقارها. لم استطع منع نفسي من التفكير بك.»

تابع بعد ان نظر إليها مطولاً: «لقد سكنت احلامي ايضاً، لو كانت والدتك تشبهك ولو قليلاً فلا عجب ان الكساندر وقع في هواها...» تردد قليلاً قبل ان يتابع: «لكن شيئاً واحداً كان يحيرني بشدة، انه لم يكن على علم بوجودك الا قبل سنتين فقط، كيف اكتشف ذلك؟»

«حين اخبر الطبيب والدتي عن اصابتها بمرض عضال بدأت تقلق من عدم وجود من سيرعاني ويهتم بي بعد موتها، ودون علمي تركت رسالة لمحاميها، رسالة يجب تسليمها فور وفاتها إلى الكساندر عبر محاميه.»

«لتحاشي رؤية لورا لتلك الرسالة كما اظن، وطبعاً جاء بعد ذلك بحثاً عنك؟»

«استغرق بضع اسابيع حتى وجدني لأنني ذهبت إلى لندن فور وفاة والدتي ولم يكن لدي مكاناً دائماً للسكن فيه، وحين وجدني كنت اعمل مع وكالة داماريس وكنت مستقلة مالياً.»

قال غيدوين برقة: «والآن، انت لست فقط دون عمل بل ودون حرية أيضاً.»

«ماذا تقصد؟» سألته بدلال من يعرف الرد.

«لا يعقل ان نبقيك الكساندر وأنا وحيدة هنا في هذه الجبال.» رأت لندسي الحب الجارف والحنان في عينيه. وتبخرت آخر ذرات الشك من داخلها وهمست بصوت مبحوح: «لا، هذا لا يعقل.»

«احبك بشدة يا فتاتي الجبلية الجميلة وسأظل احبك حتى آخر العمر.»

«وانا أسيرة هواك... منذ اللحظة الأولى التي رأيتك بها كما اظن.»

«سيكون زفافنا في عرس الفصول... في الربيع.»

همست: «اجل... عرس ربيعي.» صمت الصوت بينهما بعد ذلك، وكان الصوت المسموع فقط في تلك الانحاء صوت عصفور ما يغرد بفرح وسعادة على غصن قريب.

تسلم بعد رجي الحلم

٧١٨ عمان

تمت

www.elibrary.com